



المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
المعهد العالي للقضاء
قسم الفقه المقارن

دراسة إجماعات ابن حزم في كتابه مراتب الإجماع (كتاب الدماء)

بحث تكميلي مقدم لتبيل درجة الماجستير

إعداد

علي بن عبد الله سلطان درويش معمر شي

إشراف: صاحب القضاة الشيخ

الدكتور: سالم بن ناصر الراكبي

١٤٣٠ - ١٤٣١ هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم العالي

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

المعهد العالي للقضاء

قسم الفقه المقارن

دراسة إجماعات ابن حزم في كتابه مراتب الإجماع (كتاب الدماء)

بمختصر تكميل مقدم لنيل درجة الماجستير

إعداد:



علي بن عبد الله سلطان دربي مجرشي

المراجع: صاحب الفضيلة الشيخ

الدكتور: سالم بن ناصر الراكان

١٤٣٠-١٤٣١ هـ

المقدمة:

إن الحمد لله أحمدته ، وأستعينه ، وأستهديه ، وأستغفره ، وأتوب إليه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، من يهده الله ، فلا مضل له ، ومن يضلل ، فلا هادي له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد:

فإن الله جل في علاه خلق الخلق و أرسل إليهم رسله ؛ ليبينوا لهم ، ويرشدوهم إلى عبادة الله وحده وامتنال أوامره واجتناب نواهيه ، فأنزل شريعته ؛ ليستقيم حالهم بما فآله خلقهم وهو أعلم بما يصلح لهم ، وينظم علاقاتهم مع بعضهم البعض على أتم الوجوه ؛ ليسود العدل والرضا بحكم الله عز وجل ، ومن ضمن ذلك أنه حرم الظلم وأمر برفعه عن المظلوم ونصرته ، وأعطى هذا الجانب اهتماماً كبيراً ، فحرم قتل النفس بغير حق ، والبغي ، والسرقة ، والقذف... الخ ، وجعل لهذه الجرائم عقوبات وحدوداً وذلك كله ؛ لأن هذه الجرائم تمس الفرد والمجتمع ، وحتى يصل هذا المجتمع إلى الاستقرار والأمان لا بد من وضع عقوبات مناسبة لكل جريمة ؛ ليعيش الأفراد في مجتمع يسوده العدل والأمن والاطمئنان فيعبد الله وتقام شعائره .

وتجدر الإشارة هنا لبعض الأمور من خلال هذه المقدمة:

التعريف بالموضوع وبيان أهميته:

قد جاء الإسلام بشريعة كاملة في جميع جوانبها؛ لتنظيم الحقوق بين الناس، وتكفل بذلك استقرار المجتمع لتحفظ مصالح الجماعة. فبدأ بتربية الفرد ليصبح عضواً فعالاً في المجتمع ، ثم شرع نظاماً للعقوبات ؛ ليردع من أراد الإخلال بنظام المجتمع ولم يكتف فقط بالعقاب الدنيوي، بل عاد ؛ ليربي الفرد بإرشاده إلى ما هو أعظم وأوقع في النفس وهو العقاب الأخروي فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أول ما يقضى بينَ الناس يَوْمَ الْقِيَامَةِ، في الدماءِ"^(١). ومعنى ذلك: (يحاسب الله تعالى الخلائق

(١) صحيح مسلم - كتاب القسامة والمحاربن - باب المجازاة بالدماء في الآخرة - وأما أول ما يقضى فيه بين الناس

القيامة (١٣٠٤/٣) برقم (١٦٧٨).

المقدمة:

إن الحمد لله أحمد ، وأستعينه ، وأستهديه ، وأستغفره ، وأتوب إليه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، من يهده الله ، فلا مضل له ، ومن يضلله ، فلا هادي له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فإن الله جل في علاه خلق الخلق و أرسل إليهم رسله ؛ ليبينوا لهم ، ويرشدوهم إلى عبادة الله وحده وامتنال أوامره واجتناب نواهيه ، فأنزل شريعته ؛ ليستقيم حالهم بما فالله خلقهم وهو أعلم بما يصلح لهم ، وينظم علاقاتهم مع بعضهم البعض على أتم الوجوه ؛ ليسود العدل والرضا بحكم الله عز وجل ، ومن ضمن ذلك أنه حرم الظلم وأمر برفعه عن المظلوم ونصرته ، وأعطى هذا الجانب اهتماماً كبيراً ، فحرم قتل النفس بغير حق ، والبغي ، والسرقه ، والقذف... الخ ، وجعل لهذه الجرائم عقوبات وحدوداً وذلك كله ؛ لأن هذه الجرائم تمس الفرد والمجتمع ، وحتى يصل هذا المجتمع إلى الاستقرار والأمان لابد من وضع عقوبات مناسبة لكل جريمة ؛ ليعيش الأفراد في مجتمع يسوده العدل والأمن والاطمئنان فيعبد الله وتقام شعائره.

وتجدر الإشارة هنا لبعض الأمور من خلال هذه المقدمة:

التعريف بالموضوع وبيان أهميته:

قد جاء الإسلام بشريعة كاملة في جميع جوانبها؛ لتنظيم الحقوق بين الناس، وتكفل بذلك استقرار المجتمع لتحفظ مصالح الجماعة. فبدأ بتربية الفرد ليصبح عضواً فعالاً في المجتمع ، ثم شرع نظاماً للعقوبات ؛ ليردع من أراد الإخلال بنظام المجتمع ولم يكتف فقط بالعقاب الدنيوي، بل عاد ؛ ليربي الفرد بإرشاده إلى ما هو أعظم وأوقع في النفس وهو العقاب الأخروي فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أول ما يقضى بينَ الناس يَوْمَ الْقِيَامَةِ، في الدماء"^(١). ومعنى ذلك: (يحاسب الله تعالى الخلائق

(١) صحيح مسلم - كتاب القسامة والمحاربن - باب المجازاة بالدماء في الآخرة - وأما أول ما يقضى فيه بين الناس

القيامة (١٣٠٤/٣) برقم (١٦٧٨).

يوم القيامة، ثم يقضي بينهم بعدله. ويبدأ من المظالم بالأهم. بما أن الدماء هي أعظم وأهم ما يكون من المظالم، فإنها أول ما يقضي به منها في ذلك اليوم العظيم).^(١)

قال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَتَأُولَى الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(٢) قال العلامة محمد الشنقيطي: (ولا شك أن هذا من أعدل الطرق وأقومها، ولذلك يشاهد في أقطار الدنيا قديماً وحديثاً قلة وقوع القتل في البلاد التي تحكم كتاب الله. لأن القصاص رادع عن جريمة القتل؛ كما ذكره الله في الآية المذكورة آنفاً. وما يزعمه أعداء الإسلام من أن القصاص غير مطابق للحكمة. لأن فيه إقلال عدد المجتمع بقتل إنسان ثان بعد أن مات الأول، وأنه ينبغي أن يعاقب بغير القتل فيحبس، وقد يولد له في الحبس فيزيد المجتمع. كله كلام ساقط، عار من الحكمة لأن الحبس لا يردع الناس عن القتل. فإذا لم تكن العقوبة رادعة فإن السفهاء يكثر منهم القتل. فيتضاعف نقص المجتمع بكثرة القتل).^(٣)

فهذا الموضوع يُعنى بدراسة كتاب الدماء من كتاب مراتب الإجماع لابن حزم رحمه الله حيث عرض علي أحد زملائي الفكرة وقمت بدراستها ووجدت في نفسي قبولاً لها، ولهذا أحببت المشاركة في هذا المشروع المبارك الذي أقوم فيه مع مجموعة من زملائي بدراسة لكتاب مراتب الإجماع لابن حزم رحمه الله تعالى حيث الغرض من هذه الدراسة خدمة هذا الكتاب.

(١) تيسر العلام شرح عمدة الأحكام لعبد الله البسام (٢/٨٥٨).

(٢) سورة البقرة آية ١٧٩.

(٣) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن لمحمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (٣/٣٢).

أسباب اختيار الموضوع:

١. أن هذا الكتاب تناول أصلاً من أصول الأدلة وهو الإجماع.
٢. أن هذا الكتاب المفيد لهذا العالم الفذ لم يخدم من قبل بحيث تدرس أبوابه و مسائله وكان هذا المشروع خير وسيلة لخدمته.
٣. أن كتاب الدماء يتناول موضوعاً مهماً يخص النفس البشرية والقصاص ممن اعتدى عليها وهذا الموضوع جدير بالبحث والتحليل.
٤. قلة المؤلفات التي تجمع مسائل الإجماع في مصنف واحد ليسهل الرجوع إليها.

الدراسات السابقة:

بعد البحث والسؤال في مظان البحوث والدراسات لم أعثر على دراسة سابقة حول كتاب ابن حزم، مراتب الإجماع، وذلك بعد البحث في كل من:

١. مكتبة الملك فهد الوطنية .

٢. مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.

٣. فهرس رسائل كلية الشريعة بالرياض.

٤. فهرس رسائل مكتبة المعهد العالي للقضاء.

وكذلك مما يحسن الإشارة إليه أن هذا البحث عبارة عن مشروع اقتسمت فيه أنا وبمجموعة من زملائي دراسة إجماعات ابن حزم في كتابه "مراتب الإجماع" مثل:

١. الطالب صالح بن سليمان العراجة سيقوم بدراسة إجماعات ابن حزم في كتابه "مراتب الإجماع" جزء من كتاب الوصايا والأوصياء.

٢. الطالب أحمد بن محمد العروان سيقوم بدراسة إجماعات ابن حزم في كتابه "مراتب الإجماع" جزء من كتاب الفرائض.

٣. الطالب سعد المنيع سيقوم بدراسة إجماعات ابن حزم في كتابه "مراتب الإجماع" جزء من كتاب الفرائض.

٤. الطالب أحمد الرشيد سيقوم بدراسة إجماعات ابن حزم في كتابه "مراتب الإجماع" جزء من كتاب الوصايا والأوصياء.

أسباب اختيار الموضوع:

١. أن هذا الكتاب تناول أصلاً من أصول الأدلة وهو الإجماع.
٢. أن هذا الكتاب المفيد لهذا العالم الفذ لم يخدم من قبل بحيث تدرس أبوابه و مسائله وكان هذا المشروع خير وسيلة لخدمته.
٣. أن كتاب الدماء يتناول موضوعاً مهماً يخص النفس البشرية والقصاص ممن اعتدى عليها وهذا الموضوع جدير بالبحث والتحليل.
٤. قلة المؤلفات التي تجمع مسائل الإجماع في مصنف واحد ليسهل الرجوع إليها.

الدراسات السابقة:

بعد البحث والسؤال في مظان البحوث والدراسات لم أعر على دراسة سابقة حول كتاب ابن حزم، مراتب الإجماع، وذلك بعد البحث في كل من:

١. مكتبة الملك فهد الوطنية .

٢. مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.

٣. فهرس رسائل كلية الشريعة بالرياض.

٤. فهرس رسائل مكتبة المعهد العالي للقضاء.

وكذلك مما يحسن الإشارة إليه أن هذا البحث عبارة عن مشروع اقتسمت فيه أنا ومجموعة من زملائي دراسة إجماعات ابن حزم في كتابه "مراتب الإجماع" مثل:

١. الطالب صالح بن سليمان العراجة سيقوم بدراسة إجماعات ابن حزم في كتابه

"مراتب الإجماع" جزء من كتاب الوصايا والأوصياء.

٢. الطالب أحمد بن محمد العروان سيقوم بدراسة إجماعات ابن حزم في كتابه

"مراتب الإجماع" جزء من كتاب الفرائض.

٣. الطالب سعد المنيع سيقوم بدراسة إجماعات ابن حزم في كتابه "مراتب الإجماع"

جزء من كتاب الفرائض.

٤. الطالب أحمد الرشيد سيقوم بدراسة إجماعات ابن حزم في كتابه "مراتب

الإجماع" جزء من كتاب الوصايا والأوصياء.

٥. وأما الدراسات الفقهية السابقة في الإجماع، فتنقسم إلى قسمين:

القسم الأول: كتب المتقدمين، ومن أهمها:

١. الإجماع لابن المنذر .
 ٢. (مراتب الإجماع لابن حزم).
 ٣. نقد مراتب الإجماع لابن تيمية.
 ٤. الإقناع في مسائل الإجماع لأبي الحسن القطان الفاسي.
- بالإضافة إلى بعض الكتب المهمة بالإجماعات ، مثل :
١. الإفصاح لابن هبيرة.
 ٢. المغني لابن قدامة.

القسم الثاني : كتب المتأخرين ، من رسائل علمية ، وجهود شخصية .

١. الإجماع عند النووي في شرحه لصحيح مسلم مع التطبيق على جميع أبواب الفقه :
- للباحث: علي أحمد عمير الراشدي .^(١)
٢. إجماعات ابن عبد البر في العبادات :د/ عبد الله بن مبارك البوصي.
 ٣. موسوعة الإجماع عند شيخ الإسلام ابن تيمية :د/ عبد الله بن مبارك البوصي.
 ٤. إجماعات ابن عبد البر - دراسة فقهية مقارنة.^(٢)
 ٥. إجماعات القاضي عياض في الفقه الإسلامي جمعاً وتوثيقاً لصالح بن عثمان العمري.^(٣)
 ٦. أحكام الإجماع والتطبيقات عليها من خلال كتابي ابن المنذر وابن حزم لخلف المحمد.
 ٧. موسوعة الإجماع في الفقه الإسلامي لسعدي أبو جيب.
 ٨. الإجماع لابن عبد البر لفؤاد الشلهوب.

(١) بحث ماجستير بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، ١٤١٨ هـ.

(٢) رسالة ماجستير المؤلف : سيده عبده بكر عثمان جامعة القاهرة - كلية دار العلوم - قسم الشريعة الإسلامية

١٤٢١ هـ / ٢٠٠٠ م

(٣) رسالة علمية في جامعة أم القرى ، لم تطبع .

منهج البحث:

وسوف أقوم - بإذن الله تعالى - في هذا البحث بما يلي:

١. أصور المسألة المراد بحثها تصويراً دقيقاً قبل بيان حكمها: ليتضح المقصود من دراستها.

٢. إذا كانت المسألة من مسائل الاتفاق فأذكر حكمها بدليله مع توثيق الاتفاق من مظانه المعتمدة .

٣. إذا كانت المسألة من مسائل الخلاف ، فأتبع ما يلي :

ا- أحرر محل الخلاف إذا كانت بعض صور المسألة محل خلاف، وبعضها محل اتفاق.

ب- أذكر الأقوال في المسألة، وأبين من قال بها من أهل العلم، ويكون عرض الخلاف حسب الاتجاهات الفقهية.

ج- أقتصر على المذاهب المعتمدة، مع العناية بذكر ما تيسر الوقوف عليه من أقوال السلف الصالح، وإذا لم أقف على المسألة في مذهب ما فسأسلك بما مسلك التخريج.

د- أوثق الأقوال من مصادرها الأصلية .

هـ- أستقصي أدلة الأقوال مع بيان وجه الدلالة، وأذكر ما يرد عليها من مناقشات، وما يجاب به عنها إن كانت، وأذكر ذلك بعد الدليل مباشرة.

و- أرجح مع بيان سببه، وأذكر ثمرة الخلاف إن وجدت.

٤. أعتمد على أمهات المصادر والمراجع الأصلية في التحرير والتوثيق والتخريج والجمع.

٥. أركز على موضوع البحث وأتجنب الاستطراد .

٦. أعني بضرب الأمثلة خاصة الواقعية .

٧. أتجنب ذكر الأقوال الشاذة .

٨. أعني بدراسة ما جدّ من القضايا مما له صلة واضحة بالبحث.

٩. أرقم الآيات وأبين سورها مضبوطة الشكل.

١٠. أخرج الأحاديث من مصادرها الأصلية وأثبت الكتاب والباب والجزء والصفحة، وأين ما ذكره أهل الشأن في درجتها - إن لم تكن في الصحيحين أو أحدهما، فإن كانت كذلك فأكتفي حينئذ بتخريجها منها.

١١. أخرج الآثار من مصادرها الأصلية، وأحكم عليها.

١٢. أعرف بالمصطلحات من كتب الفن الذي يتبعه المصطلح أو من كتب المصطلحات المعتمدة.

١٣. أوثق المعاني من معاجم اللغة المعتمدة وتكون الإحالة عليها بالمادة والجزء والصفحة.

١٤. أعتني بقواعد اللغة العربية والإملاء، وعلامات الترقيم، ومنها علامات التصنيف للآيات الكريمة، والأحاديث الشريفة والآثار ولأقوال العلماء، وأميز العلامات والأقواس، فيكون لكل منها علامته الخاصة.

١٥. تكون الخاتمة متضمنة أهم النتائج والتوصيات التي أراها.

١٦. أترجم للأعلام غير المشهورين بإيجاز بذكر اسم العلم ونسبه وتاريخ وفاته ومذهبه العقدي والفقهية والعلم الذي اشتهر به، وأهم مؤلفاته ومصادر ترجمته.

١٧. إذا وجد في البحث ذكر أماكن أو قبائل أو فرق أو أشعار أو غير ذلك فأضع له فهرس خاصة، إن كان لها من العدد ما يستدعي ذلك.

١٨. أتبع الرسالة بالفهارس الفنية المتعارف عليها، وهي:

أ- فهرس الآيات القرآنية.

ب- فهرس الأحاديث والآثار.

ت- فهرس المراجع والمصادر.

ث- فهرس الأعلام

ج- فهرس الموضوعات.

خطة البحث:

تشتمل خطة البحث على مقدمة وتمهيد و ثلاثة فصول وخاتمة.
أما المقدمة: فتكون من التعريف بالموضوع وبيان أهميته وأسباب اختياره، والدراسات السابقة، ومنهج البحث، وخطة.

تمهيد: التعريف بمفردات العنوان ويتكون من أربعة مباحث:

المبحث الأول: نبذة مختصره عن ابن حزم، وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: اسمه وكنيته ونسبه.

المطلب الثاني: مولده ونشأته.

المطلب الثالث: مكانته وثناء العلماء عليه.

المطلب الرابع: مؤلفاته.

المطلب الخامس: وفاته.

المبحث الثاني: دراسة عن الكتاب، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: اسم الكتاب وأهميته.

المطلب الثاني: ذكر من أثنى على الكتاب من أهل العلم.

المطلب الثالث: منهج المؤلف في كتابه.

المبحث الثالث: نبذة مختصرة عن الإجماع. وفيه أربعة مطالب.

المطلب الأول: الإجماع تعريفه لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: درجات الإجماع.

المطلب الثالث: الفرق بين الإجماع والاتفاق.

المطلب الرابع: الاعتداد بخلاف الظاهرية في الإجماع.

المبحث الرابع: تعريف بمعنى الدماء وأقسام الجناية. وفيه أربعة مطالب

المطلب الأول: تعريف الدماء: لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: تسمية الفقهاء لكتاب الدماء في كتبهم، و المقصود بالدماء في الباب.

المطلب الثالث: تعريف الجناية.

المطلب الرابع: أقسام الجناية.

الفصل الأول: العدوان على النفس، وفيه ستة مباحث:

المبحث الأول: حرمة دم المسلم.

المبحث الثاني: حرمة دم الذمي.

المبحث الثالث: قتل المسلم الحر البالغ إن قتل مثله.

المبحث الرابع: دم القاتل حلال إن رضي ولي المقتول بقتله.

المبحث الخامس: قتل الحرة المسلمة إن قتلت مثلها.

المبحث السادس: قتل الكافر الحر بالمسلم الحر.

المبحث السابع: قتل الواحد بالجماعة.

الفصل الثاني: العدوان على الأطراف، وفيه ستة مباحث:

المبحث الأول: قطع يد المسلم الحر البالغ العاقل.

المبحث الثاني: فقا عين المسلم الحر البالغ العاقل بعين مثله.

المبحث الثالث: خلع ضرر الرجل المسلم بضرر الرجل المسلم إذا كانت مسماة باسمها.

المبحث الرابع: الأنف بالأنف.

المبحث الخامس: عدم قطع عضو بعضو لا يجمعهما اسم واحد.

المبحث السادس: القصاص بين الحرين العاقلين البالغين في الموضحة من الجراح ما لم تكن في

مقتل.

الفصل الثالث: أولياء الدم وكيفية القصاص، وفيه سبعة مباحث:

المبحث الأول: أولياء الدم.

المبحث الثاني: القصاص بين النساء.^١

المبحث الثالث: عدم القصاص على مستكرهة في الزنا ولا في فعل قوم لوط ولا من مس عضوا لا يحل له مسه.

المبحث الرابع: القود على من جنى جناية على مسلم لم يفارق الإسلام ولا أحدث حدثاً حتى مات.

المبحث الخامس: : أخذ الولي للقود بأمر السلطان.

المبحث السادس عدد الشهود الذين يقبلون في الشهادة على القتل.

المبحث السابع: لزوم القود بالإقرار.

الخاتمة: وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات.

الفهارس: وتشتمل على:

- فهرس الآيات القرآنية.
- فهرس الأحاديث والآثار.
- فهرس الأعلام.
- فهرس المراجع والمصادر.
- فهرس الموضوعات.

أحمد الله الكريم المنان على تيسيره وتوفيقه الذي أعان على إكمال هذا البحث، فقد كانت مسائل البحث كثيرة مقارنة بالوقت والمادة العلمية التي تحتاج إلى جمع وفهم وتنسيق ودراسة مسائل نقل فيها ابن حزم رحمه الله الإجماع فكان لابد من تركيز عال خاصة أن البحث يحتوي على مباحث أصولية دقيقة قلة الكتابة فيها. فله الحمد كله ظاهره وباطنه وأوله وآخره، وأجله وأزكاه، على ما يسر لي من إتمام هذا البحث، ثم إني أشكر والذي الكريمين على ما بذلاه من تربية وتوجيه، ففضلهما علي كبير، وحقهما علي عظيم، فأسأل الله جل وعلا بمنه وكرمه وجوده أن يغفر لهما ويرحمهما كما ربياني صغيراً، وأسأله بأنه أكرم الأكرمين رب العالمين أن يجزيهما خير الجزاء، وأن يوفقي لبرهما والإحسان إليهما.

كما أشكر زوجتي الغالية على تشجيعها وصبرها على سفري وتنقلي وتهيئة الجو الملائم للبحث، فأسأل الله أن يتم عليها العافية ويحفظها من كل مكروه.

والشكر موصول للعقيد الطيار الركن: سلطان موسى حفظه الله وجزاه الله خيراً.

وفي مقام الاعتراف بالفضل والإحسان أشكر العقيد الطيار الركن: عبدالعزيز القديري الذي كان السبب بعد الله في تمكيني من الدراسة فأسأل الله أن يجزيه عني خير الجزاء، وكذلك أشكر العقيد الطيار الركن: خالد المحسن على مساعدته لي جزاه الله خيراً.

وكذلك أشكر أخي وصديقي المقدم الطيران الركن: عبدالعزيز بن باز أسأل الله أن يرفع قدره فموافقه معي كثيرة جزاه الله عني خيراً.

وكذلك زميلي محمد العتيبي أسأل الله أن يشبهه على صبره وتحمله وقيامه بسد مكاني في القسم فجزاه الله خيراً.

ولا أنسى أن أشكر أخي وزميلي عبدالعزيز المطيري وفقه الله فإنه نعم الأخ والصديق.

وفي مقام الوفاء أتوجه بالشكر والثناء إلى فضيلة شيخني المشرف على البحث الدكتور
سالم بن ناصر الراكان حفظه الله ورعاه وزاده علما وشرفا فقد غمرني بفضله وتواضعه
وعلمه منذ تقدم الخطة وحتى نهاية البحث وتسليمه، مما كان له الأثر الإيجابي على البحث
والباحث، فأسأل الله أن يبارك له في علمه، وأن يرفع قدره، ويزيده من فضله. والحمد لله
رب العالمين.

تمهيد: التعريف بمفردات العنوان ويتكون من أربعة مباحث:
المبحث الأول: نبذة مختصرة عن ابن حزم، وفيه خمسة مطالب:
المطلب الأول: اسمه وكنيته ونسبه.
المطلب الثاني: مولده ونشأته.
المطلب الثالث: مكانته وثناء العلماء عليه.
المطلب الرابع: مؤلفاته.
المطلب الخامس: وفاته.

المطلب الأول: اسمه وكنيته ونسبه.

"ابن حزم أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد القرطبي، الإمام الأوحّد، البحر، ذو الفنون والمعارف، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن خلف بن معدان بن سفيان بن يزيد الفارسي الأصل، ثم الأندلسي القرطبي اليزيدي مولى الأمير يزيد بن أبي سفيان بن حرب الأموي - رضي الله عنه - المعروف بيزيد الخير، نائب أمير المؤمنين أبي حفص عمر على دمشق، الفقيه الحافظ، المتكلم، الأديب، الوزير، الظاهري، صاحب التصانيف، فكان جده يزيد مولى للأمير يزيد أخي معاوية.

وكان جده خلف بن معدان هو أول من دخل الأندلس في صحابة ملك الأندلس عبدالرحمن بن معاوية بن هشام؛ المعروف بالداخل".^(١)

(علا ابن حزم بعلمه ولم يعلو بنسبه، وكان ينتسب إلى أسرة لها شأن في الوزارة لدى حكام الأندلس، وكان وزير لبعض الأمراء، ولكنه رأى الشرف والسلامة والعزة في أن ينصرف إلى العلم، فعلا بالعلم، ودوى اسمه في التاريخ فقيهاً ومؤرخاً وكاتباً وشاعراً. وعلى ذلك فهو قرشي بالولاء، فارسي بالجنس، وإنه لذلك الولاء كان يتعصب لبني أمية، يعادي من عاداهم ويوالي من والاهم، وإن ذلك كان من الوفاء الذي كان في معدن ابن حزم وكان متغلغلا في صميم نفسه، حتى إنه أخص سجاياه وأشرف ما عرف به).^(٢)

(١) سير أعلام النبلاء لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي (٣٥ / ١٦٦)

(٢) ابن حزم حياته وعصره - آراؤه وفقهه، للشيخ محمد أبو زهرة (ص ٢٠) طبعة دار الفكر العربي - القاهرة - مصر.

المطلب الثاني: مولده ونشأته.

ولد: أبو محمد بقرطبة في سنة أربع وثمانين وثلاث مائة^(١)، (ونشأ ابن حزم في بيت عز ومال وجاه عريض فكان يعتز بأسرته ويتباهى بأنه طلب العلم لأجل العلم، لا يتغني مالا ولا جاهاً وربى في حجور النساء والجواري، فعلمنه القرآن، وروين له الأشعار، ودرّبه على جودة الخط والكتابة، وشرح له القصص والأخبار).^(٢)

يقول ابن حزم في طوق الحمام في الألفة والألاف:

(ولقد شاهدت النساء وعلمت من أسرارهن ما لا يكاد يعلمه غيري، لأني ربيت في حجورهن، ونشأت بين أيديهن، ولم أعرف غيرهن، ولا جالست الرجال إلا وأنا في حد الشباب وحين تبقل وجهي، وهن علمني القرآن ورويني كثيراً من الأشعار ودرّبنني في الخط، ولم يكن وكدي وإعمال ذهني مذ أول فهمي وأنا في سن الطفولة جداً إلا تعرف أسباهن، والبحث عن أخبارهن، وتحصيل ذلك. وأنا لا أنسى شيئاً مما أراه منهن، وأصل ذلك غيرة شديدة طبعت عليها، وسوء ظن في جهتهن فطرت به، فأشرفت من أسباهن على غير قليل).^(٣)

وفي هذا الكلام ما يدلنا على سر النفرة بينه وبين كثير من علماء عصره حيث قال: وسوء ظن في جهتهن فطرت به، وعلق الشيخ أبو زهرة على ذلك بقوله: (وهذا يفسر لنا ابن حزم في قابل حياته، ولعله السبب في النفرة التي كانت بينه وبين كثير من علماء عصره، وأنه كان يسارع إلى اتهام نيات من يخالفه، ويصكه بالقول العنيف صك الجندل، بل إن ذلك الظن السيئ من السياسة ولأوائها إلى العلم وهدأته، فإنه نفر من خلطة الناس إلى الأُنس بالكتب. ووجد في الكتاب الأُنيس الذي لا يرتاب فيه والصديق الذي لا يشك في صدق مودته).^(٤)

(١) سير أعلام النبلاء لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي (١٨٥/١٨).

(٢) طوق الحمامة في الألفة والألاف - لابن حزم - تحقيق بشير محمد عون - (ص ١١) - طبعة دار البيان -

١٤٢٩هـ.

(٣) المرجع السابق ص (٧٢)

(٤) ابن حزم حياته وعصره - آراؤه وفقهه لمحمد أبو زهرة (٢٣).

وفي كلام الشيخ محمد أبو زهرة وجاهه، لكن مثل هذا العالم الفذ الذي شد خصومه قبل أحبابه بعلمه وما آتاه الله من ذكاء وفطنة وسعة علم لا نستطيع حصر سبب النفرة بينه وبين علماء عصره في هذا السبب فقط فلم يكن ابن حزم يرد على مناظريه لسوء الظن بهم، ولكن يرد بما يعتقد من حق كما كان يصرح بهذا، وإن كان مخطئاً في ردة فهو يقصد الحق.

كذلك يكشف لنا ابن حزم في كلامه السابق: أنه ربه النساء حتى علم من أسرارهن ما لا يكاد يلمه غيره، لكن ما سر حفظ ابن حزم وعفته واستقامته، الذي أجاب عنه ابن حزم في كتابه طوق الحمامة بقوله: (كان السبب فيما ذكرته أي كنت وقت تأجج نار الصبا وشرة الحداثة وتمكن غرارة الفتوة مقصوراً محظراً علي بين رقباء ورقائب ؛ فلما ملكت نفسي وعقلت صحبت أبا علي الحسين بن علي الفاسي^(١) في مجلس أبي القاسم عبد الرحمن بن أبي يزيد الأزدي شيخنا وأستاذي رضي الله عنه ، وكان أبو علي المذكور عاقلاً عاملاً ، ممن تقدم في الصلاح والنسك الصحيح وفي الزهد في الدنيا والاجتهاد للآخرة ، وأحسبه كان حصوراً لأنه لم تكن له امرأة قط ، وما رأيت مثله جملة علماء وعملاً وديناً وورعاً ، فنفعني الله به كثيراً وعلمت موقع الإساءة وقبح المعاصي . ومات أبو علي رحمه الله في طريق الحج).^(٢)

(نشأ في تنعم ورفاهية، ورزق ذكاء مفرطاً، وذهناً سيالاً، وكتباً نفيسة كثيرة، وكان والده من كبراء أهل قرطبة؛ عمل الوزارة في الدولة العامرية، وكذلك وزير أبو محمد في شبيبته، وكان قد مهر أولاً في الأدب والأخبار والشعر، وفي المنطق وأجزاء الفلسفة، فأثرت فيه تأثيراً ليته سلم من ذلك، ولقد وقفت له على تأليف يحض فيه على الاعتناء بالمنطق،

(١) الحسين بن علي الفاسي أبو علي من أهل العلم والفضل، مع العقيدة الخالصة، والنية الجميلة، لم يزل يطلب ويختلف إلى العلماء، محتسباً حتى مات. قال لنا أبو محمد علي بن أحمد: قلت له يوماً يا أبا علي متى تنقضي قراءتك على الشيخ؟ وأنا حينئذ أريد سماع كتاب آخر من ذلك الشيخ. فقال لي: إذا انقضى أجلي، فاستحسنتها منه. قال أبو محمد: وكان رحمه الله ناهيك به سرواً وديناً وعقلاً وعملاً وورعاً وتهدياً وحسن خلق. الصلة لخلف بن عبد الملك بن بشكوال (٤٤/١).

(٢) طوق الحمامة لابن حزم ص (١٥٦).

ويقدمه على العلوم، فتأملت له، فإنه رأس في علوم الإسلام، متبحر في النقل، عديم النظر على ييس فيه، وفرط ظاهرية في الفروع لا الأصول.

قيل: إنه تفقه أولا للشافعي، ثم أداه اجتهاده إلى القول بنفي القياس كله جليه وخفيه، والأخذ بظاهر النص وعموم الكتاب والحديث، والقول بالبراءة الأصلية، واستصحاب الحال، وصنف في ذلك كتباً كثيرة، وناظر عليه، وبسط لسانه وقلمه، ولم يتأدب مع الأئمة في الخطاب، بل فجج العبارة، وسب وجدع، فكان جزاؤه من جنس فعله، بحيث إنه أعرض عن تصانيفه جماعة من الأئمة، وهجروها، ونفروا منها، وأحرقت في وقت، واعتنى بها آخرون من العلماء، وفتشوها انتقاداً واستفادة، وأخذوا ومؤاخذاً، ورأوا فيها الدر الثمين ممزوجاً في الرصف بالخرز المهيّن، فتارة يطربون، ومرة يعجبون، ومن تفرد بهزؤون.

وفي الجملة فالكمال عزيز، وكل أحد يؤخذ من قوله ويترك، إلا رسول الله ﷺ، وكان ينهض بعلوم جمّة، ويجيد النقل، ويحسن النظم والنثر.^(١)

أما سبب تعلمه العلم فذكر الذهبي^(٢): (أن سبب تعلمه الفقه أنه شهد جنازة، فدخل المسجد، فجلس، ولم يركع، فقال له رجل: قم فصل تحية المسجد، وكان قد بلغ ستاً وعشرين سنة.

قال: فقمّت وركعت، فلما رجعنا من الصلاة على الجنازة، دخلت المسجد، فبادرت بالركوع، فقبل لي: اجلس اجلس، ليس ذا وقت صلاة - وكان بعد العصر - قال: فانصرفت وقد حزنت، وقلت للأستاذ الذي رباني: دلي على دار الفقيه أبي عبد الله بن دحون^(٣) (فدلي فقصدته من ذلك المشهد، وأعلمته بما جرى فيه وسألته الابتداء بقراءة العلم، واسترشدته، فدلي على كتاب الموطأ لمالك بن أنس رحمه الله، فبدأت به عليه قرأته من اليوم التالي لذلك اليوم، ثم تابعت قراءتي عليه وعلى غيره نحو ثلاثة أعوام، وبدأت المناظرة).^(٤)

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي (١٨٧/١٨).

(٢) الشيخ الإمام الحافظ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي الدمشقي علامة، ومؤرخ، ومحقق، ولد بدمشق في سنة (٦٧٣هـ)، وتوفي سنة (٧٤٨هـ). ومن أشهر مؤلفاته سير أعلام النبلاء، وتاريخ الإسلام الكبير.

الأعلام للزركلي (٥ / ٣٢٦)

(٣) المرجع السابق (١٨٠، ١٧٩/٣٥)

(٤) ابن حزم حياته وعصره - آراؤه وفقهه لمحمد أبو زهرة ص (٢٧، ٢٨).

ذكر الشيخ محمد أبو زهرة رحمه الله: أن هذا يتنافى مع تربية ابن حزم، واهتمام أبيه بتربيته ودفعه إلى من يعلمه؛ ووجه ذلك (أنه ثبت أن ابن حزم تلقى عن أحمد بن الجصور^(١) الحديث، ومستحيل أن يعرف رواية الحديث، ولا يعرف تحية المسجد، وأيضا فإنه ثبت أن أبا الحسين الفارسي كان يذهب به إلى مجالس كبار العلماء فمستحيل مع تلك العناية يجهل تحية المسجد، وأن طبيعة الحياة التي كان يحياها تكذب ذلك).^(٢)

(١) ابن الجصور أحمد بن محمد بن محمد الأموي الإمام، المحدث، الثقة، الأديب، أبو عمر أحمد بن محمد بن أحمد بن سعيد بن الحباب الأموي مولاهم، القرطبي، ابن الجصور، وقد كناه أبو إسحاق بن شنظير: أبا عمير، والأول أصح. حدث عن: قاسم بن أصبغ، ووهب بن مسرة، ومحمد بن عبد الله ابن أبي دليم، ومحمد بن معاوية، وأحمد بن مطرف. حدث عنه: الصاحبان، وأبو عمر بن عبد البر، وأبو عبد الله الخولاني، وأبو محمد بن حزم، وهو أكبر شيخ لابن حزم. مات في ذي القعدة سنة إحدى وأربع مائة وله نيف وثمانون سنة. سير أعلام النبلاء للذهبي (١٤٩/١٧).

(٢) ابن حزم حياته وعصره - آراؤه وفقهه لمحمد أبو زهرة ص (٢٨).

المطلب الثالث: مكانته وثناء العلماء عليه.

(قال أبو حامد الغزالي: وجدت في أسماء الله تعالى كتابا ألفه أبو محمد بن حزم الأندلسي يدل على عظم حفظه وسيلان ذهنه.

وقال الإمام أبو القاسم صاعد بن أحمد^(١): كان ابن حزم أجمع أهل الأندلس قاطبة لعلوم الإسلام، وأوسعهم معرفة مع توسعه في علم اللسان، ووفور حفظه من البلاغة والشعر، والمعرفة بالسير والأخبار؛ أخبرني ابنه الفضل أنه اجتمع عنده بخط أبيه أبي محمد من تواليقه أربع مائة مجلد تشتمل على قريب من ثمانين ألف ورقة.

قال أبو عبد الله الحميدي^(٢): كان ابن حزم حافظا للحديث وفقهه، مستنبطا للأحكام من الكتاب والسنة، متفننا في علوم جمّة، عاملا بعلمه، ما رأينا مثله فيما اجتمع له من الذكاء، وسرعة الحفظ، وكرم النفس والتدين، وكان له في الأدب والشعر نفس واسع، وباع طويل، وما رأيت من يقول الشعر على البديهة أسرع منه، وشعره كثير جمعته على حروف المعجم.

قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام^(٣) - وكان أحد المجتهدين - ما رأيت في كتب الإسلام في العلم مثل (المحلى) لابن حزم، وكتاب (المغني) للشيخ موفق الدين.

(١) صاعد بن أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن صاعد التغلبي : قاضي طليطلة يكنى : أبا القاسم وأصله من قرطبة روى عن أبي محمد بن حزم والفتح بن القاسم وأبي الوليد الوقشي وغيرهم. وكان : من أهل المعرفة والذكاء والرواية والدراية ولد بالمرية في سنة عشرين وأربعمائة . وتوفي بطليطلة وهو قاضيا في شوال سنة اثنتين وستين وأربع مئة. الصلة لأبي القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال المتوفى: (٥٧٨) - (١ / ٧٤).

(٢) محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله بن حميد الأندلسي من جزيرة يقال لها برقة قرية من الأندلس قدم بغداد فسمع بها الحديث وكان حافظا مكثرا أديبا ماهرا عفيفا نزها وهو صاحب الجمع بين الصحيحين وله غير ذلك من المصنفات وقد كتب مصنفات ابن حزم والخطيب وكانت وفاته ليلة الثلاثاء السابع عشر من ذي الحجة وقد جاوز التسعين وقبره قريب من قبر بشر الحافي ببغداد. البداية والنهاية لابن كثير (١٢/١٥٢).

(٣) هو الشيخ عز الدين عبد العزيز عبد السلام الدمشقي السلمي كان شيخا للإسلام عالما ورعا زاهدا آمرا بالمعروف وناهيا عن المنكر قرأ الفقه على ابن عساكر والأصول على الشيخ الامدي وولي خطابه دمشق فتعرض على سلطان في خطبته لأمر كان فحصل له تشويش أنتقل بسببه إلى مصر فأكرمه ملك مصر وولاه خطابه الجامع العتيق والقضاء بها واستقر بتدريس الصالحية بالقاهرة وكان الحافظ زكي الدين مدرسا بالكاملية فامتنع من الفتوى مع وجوده وكان كل منهما يأتي مجلس الآخر واستفاد منه ولم يزل مدرسا بالصالحية إلى أن مات في عاشر جمادي الأولى سنة ستين وستمائة. [طبقات الفقهاء لإبراهيم بن علي الشيرازي (١/٢٦٧).

قال أبو مروان بن حيان^(١): كان ابن حزم - رحمه الله - حامل فنون من حديث وفقه وجدل ونسب، وما يتعلق بأذيال الأدب، مع المشاركة في أنواع التعاليم القديمة من المنطق والفلسفة، وله كتب كثيرة لم يخل فيها من غلط لجرائته في التسور على الفنون لا سيما المنطق، فإنهم زعموا أنه زل هنالك، وضل في سلوك المسالك، وخالف أرسطاطاليس واضع الفن مخالفة من لم يفهم غرضه، ولا ارتاض، ومال أولاً إلى النظر على رأي الشافعي، وناضل عن مذهبه حتى وسم به، فاستهدف بذلك لكثير من الفقهاء، وعيب بالشذوذ، ثم عدل إلى قول أصحاب الظاهر، فنقحه، وجادل عنه، وثبت عليه إلى أن مات، وكان يحمل علمه هذا، ويجادل عنه من خالفه على استرسال في طباعه، ومذل بأسراره، واستناد إلى العهد الذي أخذه الله على العلماء: ﴿لَتَبَيِّنَنَّ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾^(٢) فلم يك يلفظ صدعه بما عنده بتعريض ولا بتدريج، بل يصك به من عارضه صك الجندل، وينشقه إنشاق الخردل، فتنفرد عنه القلوب، وتوقع به الندوب، حتى استهدف لفقهاء وقته، فتمالؤوا عليه، وأجمعوا على تضليله، وشنعوا عليه، وحذروا سلاطينهم من فتنه، ونهوا عوامهم عن الدنو منه، فطفق الملوك يقصونه عن قربهم، ويسرونه عن بلادهم إلى أن انتهوا به منقطع أثره: بلدة من بادية لبلة^(٣).

(١) حيان بن خلف بن حسين بن حيان بن محمد بن حيان بن وهب بن حيان مولى الأمير عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان - كذا قرأت نسبه وولاءه بخطه - : من أهل قرطبة وصاحب تاريخها ؛ يكنى : أبا مروان، وتوفي ليلة الأحد لثلاث بقين من ربيع الأول سنة تسع وستين وأربع مائة ودفن يوم الأحد بعد صلاة العصر بمقبرة الرض . ومولده سنة سبع وسبعين وثلاث مائة. الصلة لأبي القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال (١ / ٤٨).

(٢) سورة آل عمران آية (١٨٧).

(٣) سير أعلام النبلاء للذهبي (١٨٨/١٨)، ومعجم الأدباء أو إرشاد الأريب في معرفة الأديب لأبي عبد الله ياقوت بن

عبد الله الرومي الحموي (٥٤٦/٣).

المطلب الرابع: مؤلفاته^(١):

قد ذكر الإمام الذهبي بعد أن ذكر ثناء بعض العلماء على ابن حزم "رحمه الله" حيث قال: ولابن حزم مصنفات جلية:

١. أكبرها كتاب (الإيصال إلى فهم كتاب الخصال) خمسة عشر ألف ورقة.
٢. كتاب (الخصال الحافظ لجمل شرائع الإسلام) مجلدان.
٣. وكتاب (المجلى) في الفقه مجلد.
٤. وكتاب (المجلى في شرح المجلى بالحجج والآثار) ثماني مجلدات.
٥. كتاب (حجة الوداع) مائة وعشرون ورقة.
٦. كتاب (قسمة الخمس في الرد على إسماعيل القاضي) مجلد.
٧. كتاب (الآثار التي ظاهرها التعارض ونفي التناقض عنها) يكون عشرة آلاف ورقة، لكن لم يتمه.
٨. كتاب (الجامع في صحيح الحديث) بلا أسانيد.
٩. كتاب (التلخيص والتخليص في المسائل النظرية).
١٠. كتاب (ما انفرد به مالك وأبو حنيفة والشافعي).
١١. (مختصر الموضح) لأبي الحسن بن المغلس الظاهري، مجلد.
١٢. كتاب (اختلاف الفقهاء الخمسة مالك، وأبي حنيفة، والشافعي، وأحمد، وداود).
١٣. كتاب (التصفح في الفقه) مجلد.
١٤. كتاب (التبيين في هل علم المصطفى أعيان المنافقين) ثلاثة كراريس.
١٥. كتاب (الإملاء في شرح الموطأ) ألف ورقة. (١٩٥/١٨).
١٦. كتاب (الإملاء في قواعد الفقه) ألف ورقة أيضا.
١٧. كتاب (در القواعد في فقه الظاهرية) ألف ورقة أيضا.
١٨. كتاب (الإجماع) مجليد، كتاب (الفرائض) مجلد.
١٩. كتاب (الرسالة البلقاء في الرد على عبد الحق بن محمد الصقلي) مجليد.
٢٠. كتاب (الإحكام لأصول الأحكام) مجلدان.

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي (١٨/١٩٥).

٢١. كتاب (الفصل في الملل والنحل) مجلدان كبيران.
٢٢. كتاب (الرد على من اعترض على الفصل) له، مجلد.
٢٣. كتاب (اليقين في نقض تمويه المعتذرين عن إبليس وسائر المشركين) مجلد كبير.
٢٤. كتاب (الرد على ابن زكريا الرازي) مائة ورقة.
٢٥. كتاب (الترشيد في الرد على كتاب الفريد) لابن الراوندي في اعتراضه على النبوات مجلد.
٢٦. كتاب (الرد على من كفر المتأولين من المسلمين) مجلد.
٢٧. كتاب (مختصر في علل الحديث) مجلد.
٢٨. كتاب (التقريب لحد المنطق بالألفاظ العامية) مجلد.
٢٩. كتاب (الاستجلاب) مجلد، كتاب (نسب البربر) مجلد.
٣٠. كتاب (نقط العروس) مجليد، وغير ذلك.
٣١. ومما له في جزء أو كراس:
٣٢. (مراقبة أحوال الإمام).
٣٣. (من ترك الصلاة عمدا).
٣٤. (رسالة المعارضة).
٣٥. (قصر الصلاة).
٣٦. (رسالة التأكيد).
٣٧. (ما وقع بين الظاهرية وأصحاب القياس).
٣٨. (فضائل الأندلس).
٣٩. (الغتاب على أبي مروان الخولاني).
٤٠. (رسالة في معنى الفقه والزهد)، (مراتب العلماء وتواليهم).
٤١. (التلخيص في أعمال العباد).
٤٢. (الإظهار لما شنع به على الظاهرية).
٤٣. (زجر الغاوي) جزآن (النبد الكافية).
٤٤. (النكت الموجزة في نفي الرأي والقياس والتعليل والتقليد) مجلد صغير.
٤٥. (الرسالة اللازمة لأولي الأمر).

٤٦. (مختصر الملل والنحل) مجلد.
٤٧. (الدرة في ما يلزم المسلم) جزآن.
٤٨. (مسألة في الروح).
٤٩. (الرد على إسماعيل اليهودي، الذي ألف في تناقض آيات).
٥٠. (النصائح المنجية).
٥١. (الرسالة الصمادحية في الوعد والوعيد).
٥٢. (مسألة الإيمان).
٥٣. (مراتب العلوم).
٥٤. (بيان غلط عثمان بن سعيد الأعور في المسند والمرسل).
٥٥. (ترتيب سؤالات عثمان الدارمي لابن معين).
٥٦. (عدد ما لكل صاحب في مسند بقي).
٥٧. (تسمية شيوخ مالك).
٥٨. (السير والأخلاق) جزآن.
٥٩. (بيان الفصاحة والبلاغة).
٦٠. رسالة في ذلك إلى ابن حفصون (مسألة هل السواد لون أو لا).
٦١. (الحد والرسم).
٦٢. (تسمية الشعراء الوافدين على ابن أبي عامر).
٦٣. (شيء في العروض).
٦٤. (مؤلف في الظاء والضاد).
٦٥. (التعقب على الأفليلي في شرحه لديوان المتنبي).
٦٦. (غزوات المنصور بن أبي عامر).
٦٧. (تأليف في الرد على أناجيل النصارى).
٦٨. (ولابن حزم: (رسالة في الطب النبوي) وذكر فيها أسماء كتب له في الطب منها: (مقالة العادة)، و(مقالة في شفاء الضد بال ضد)، و(شرح فصول بقراط)، وكتاب (بلغة الحكيم)، وكتاب (حد الطب)، وكتاب (اختصار كلام جالينوس في

الأمراض الحادة)، وكتاب في (الأدوية المفردة)، و(مقالة في المحاكمة بين التمر والزبيب)، و(مقالة في النخل) وأشياء سوى ذلك.

المطلب الخامس: وفاته.

"توفي الشيخ الإمام أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بقريته وهي من غرب الأندلس على خليج البحر الأعظم في شهر جمادى الأولى من سنة سبع وخمسين وأربعمائة".^(١) وعاش ثنتين وسبعين سنة غير شهر.^(٢)

(١) معجم الأدباء أو إرشاد الأريب في معرفة الأديب لأبي عبدالله ياقوت بن عبدالله الرومي الحموي (٥٤٨/٣).

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي (١٩٩/١٨).

المبحث الثاني: دراسة عن الكتاب، وفيه ثلاثة مطالب:
المطلب الأول: اسم الكتاب وأهميته.
المطلب الثاني: ذكر من أثنى على الكتاب من أهل العلم.
المطلب الثالث: منهج المؤلف في كتابه.

المطلب الأول: اسم الكتاب وأهميته.

كتاب (مراتب الإجماع)^(١) بالنسبة لاسم الكتاب فقد ذكر صاحب جذوة المقتبس أن لابن حزم كتابا في الإجماع ومسائله على أبواب الفقه، ولكنه لم يسمه مراتب الإجماع وكذلك الذهبي، وذكر صاحب الوافي والوفيات في ترجمة ابن السلامية حمزة بن موسى الشيخ الفقيه الحنبلي أنه شرح كتاب "مراتب الإجماع لابن حزم في عشرة أسفار .

وهو من أهم الكتب التي نقلت الإجماع وتكمن أهمية هذا الكتاب في أنه يتحدث عن الإجماع الذي هو أحد الأدلة الشرعية المعتمدة والذي يعتمد عليه العلماء المتقدمين والمتأخرين منهم، فما أن يقال لك أن المسألة مجمع عليها حتى تطمئن لقوة هذا الدليل؛ ولهذا عكف بعض العلماء على جمع المسائل المجمع عليها، وكان نقلهم للإجماع كل حسب منهجه فمنهم من ينقل الإجماع ويعني به الكل أو الجميع، ومنهم من ينقل الإجماع ويعني به الأكثر، والبعض الآخر ينقله ويعني به الأئمة الأربعة وكل منهم بلفظه، فهناك من ينقل الإجماع بلفظ الإجماع والبعض بلفظ الاتفاق والبعض بنفي الخلاف وهكذا.

وتكمن أيضا أهمية الكتاب أنه انفرد بنقل الاتفاق في مسائل لم يذكر العلماء الإجماع عليها من قبل فيدل على سعة علم المؤلف وقوته العلمية ، وملكته في الصياغة فبعض المسائل ينقل الاتفاق فيها بصيغة تخرج الخلاف وتحرر النزاع بل لو كانت المسألة قد نقل الاتفاق عليها بعض العلماء بصياغتهم تجد فيها خلاف ونفس المسألة يعيد صياغتها لا خلاف فيها. ولذلك تكمن أهمية الكتاب في موضوعه الإجماع، وفي مؤلفه، وتفردته في بعض المسائل، وقوة عبارته وجزالتها.

(١) جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس (١١١/١) ، والوافي والوفيات لصالح الدين الصفدي (١١١/١٣).

المطلب الثاني: ذكر من أثنى على الكتاب من أهل العلم^(١).

كان ابن حزم حافظا عالما بعلوم الحديث وفقهه مستنبطا للأحكام من الكتاب والسنة بعد أن كان شافعي المذهب فانتقل إلى مذهب أهل الظاهر وكان متفنا في علوم حجة عاملا بعلمه زاهدا في الدنيا بعد الرياسة التي كانت له ولأبيه من قبله في الوزارة وتدير الممالك متواضعا ذا فضائل حجة وتواليف كثيرة وجمع من الكتب في علوم الحديث والمصنفات والمسندات شيئا كثيرا وسمع سمعا جما وألف في فقه الحديث كتابا سماه الإيصال إلى فهم كتاب الخصال الجامعة لحمل شرائع الإسلام في الواجب والحلال والحرام والسنة والإجماع أورد فيه أقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم من أئمة المسلمين رضي الله عنهم أجمعين في مسائل الفقه والحجة لكل طائفة عليها وهو كتاب كبير وله كتاب الأحكام لأصول الأحكام في غاية التقصي). "والإجماع أورد فيه قول الصحابة فمن بعدهم في الفقه".

"وقال ابن بشكوال في حقه كان أبو محمد أجمع أهل الأندلس قاطبة لعلوم الإسلام وأوسعهم معرفة مع توسعه في علم اللسان ووفور حظه من البلاغة والشعر والمعرفة بالسير والأخبار أخبر ولده أبو رافع الفضل أنه اجتمع عنده بخط أبيه من تأليفه نحو أربعمئة مجلد تشتمل على قريب من ثمانين ألف ورقة.

وقال عنه بعض علماء عصره ما رأينا مثله فيما اجتمع له من الذكاء وسرعة الحفظ وكرم النفس والتدين وما رأيت من يقول الشعر على البديهة أسرع منه".

فابن حزم حامل راية المذهب الظاهري وجامع أشات كتبه وأفكاره، ومجده بعد مؤسسه داود بن علي، وكان لكتب ابن حزم حضور في عصره واستمر وعلا في العهد الموحد، ومنها : مراتب الإجماع، والمحلي، وإحكام الأحكام وغيرها، وقد اعتمدها الموافق والمخالف، فقد كان أبو محمد في نقله لمذاهب الفقهاء أمينا دقيقا، وفي اجتهاده يعلو تارة ويهبط أخرى لكنه مدافع عن السنة خاصة والنصوص عامة، يرفض القياس، ويحارب التعصب المذهبي ، وقد اقتبس الحافظ ابن القطان كثيرا من كتبه، وكذلك أبو الوليد بن رشد في بداية المجتهد نقل نصوصا كثيرة منها.

(١) وفيات الأعيان وأنباء الزمان لأبي العباس شمس الدين أحمد بن أبي بكر بن خلكان (٣/٣٢٥). الوافي والوفيات لصلاح الدين الصفدي (٢٠/٩٣).

المطلب الثالث: منهج المؤلف في كتابه.

صرح ابن حزم في مقدمة كتابه بالمنهج الذي يريد أن يسلكه فيه فكان هدفه الأول هو جمع المسائل المجمع عليها فقال: "نجمع المسائل التي صح فيها الإجماع ونفرد بها من المسائل التي وقع فيها الخلاف بين العلماء فإن الشيء إذا ضم إلى شكله وقرن بنظيره سهل حفظه وأمكن طلبه وقرب متناوله ووضح خطأ من خالف الحق به ولم يتعن المختصمون في البحث عن مكانه عند تنازعهم فيه".^(١)

ثم اشترط في الإجماعات التي ينقلها التواتر الذي لا يصح خلافه، ولا يشك فيه فقال: "وصفة الإجماع هو ما يتقن أنه لا خلاف فيه بين أحد من علماء الإسلام ونعلم ذلك من حيث علمنا الأخبار التي لا يتخالج فيها شك مثل أن المسلمين خرجوا من الحجاز واليمن ففتحوا العراق وخراسان ومصر والشام وأن بني أمية ملكوا دهرًا طويلاً ثم ملك بنو العباس وأنه كانت وقعة صفين والحرّة وسائر ذلك مما يعلم بيقين وضرورة".^(٢)

ولكنه خالف هذا الشرط وانتقده شيخ الإسلام في هذا وقال: إن كثيراً من الإجماعات ليست قريبة من هذا الوصف، فضلاً عن أن تكون منه.^(٣)

ثم ناقض شرطه بعده مباشرة وقال: "وإنما نعني بقولنا العلماء من حفظ عنه الفتيا من الصحابة والتابعين وتابعيهم وعلماء الأمصار وأئمة أهل الحديث ومن تبعهم رضي الله عنهم أجمعين".^(٤)

فالمؤلف لم يلتزم المنهج الذي رسمه في المقدمة، ولكن هذا لا يقلل من قيمة الإجماعات التي نقلها رحمه الله.

(١) مراتب الإجماع لابن حزم ص (٢٣)

(٢) المرجع السابق ص (٢٨)

(٣) المرجع السابق ص (٢٨٨).

(٤) المرجع السابق ص (٢٨).

المبحث الثالث: نبذه مختصرة عن الإجماع. وفيه أربعة مطالب.
المطلب الأول: الإجماع تعريفه لغة واصطلاحاً.
المطلب الثاني: درجات الإجماع.
المطلب الثالث: الفرق بين الإجماع والاتفاق.
المطلب الرابع: الاعتداد بخلاف الظاهرية في الإجماع.

المطلب الأول: الإجماع تعريفه لغة واصطلاحاً.

الإجماع لغة: مصدر للفعل الرباعي أجمع ومادة الكلمة ((جمع) الجيم والميم والعين أصل واحد، يدلُّ على تَضَامُّ الشَّيْءِ. يقال جَمَعْتُ الشَّيْءَ جَمْعاً^(١).
ولمادة هذه الكلمة معاني متعددة منها:^(٢)

ومنها: (أجمع القوم: اتفقوا، وفي القرآن الكريم: قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غِيَابِ الْجَبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَتِنَهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (١٥) ﴿٣﴾
(أي أنهم اتفقوا جميعاً على إلقائه في أسفل ذلك الجب).^(٤)

ومنها: المتفرق: جمعه، وفي الكتاب العزيز: قَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ آتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنْ أَسْتَعْلَى﴾ (٦٤) ﴿٥﴾.

ومنها: الأمر، وعليه: عزم، وفي الحديث الشريف: "من لم يجمع الصيام من الليل فلا صيام له".^(٦)

الإجماع: الاتفاق، والعزم).

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس - (١ / ٤٧٩)

(٢) تهذيب اللغة لأبي منصور محمد الأزهرى (١ / ٢٣)، ولسان العرب لابن منظور (٨ / ٥٧).

(٣) سورة يوسف آية (١٥).

(٤) المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير إعداد جماعة من العلماء ص (٦٥٥) - الطبعة الثانية - طبعة دار السلام للنشر والتوزيع الرياض.

(٥) سورة طه آية (٦٤).

(٦) صحيح ابن خزيمة (٣ / ٢١٢). كتاب الصيام: باب الرخصة في صوم التطوع برقم (١٩٣٣). قال في التلخيص الحبير التلخيص الحبير (٢ / ٤٠٧) واختلف الأئمة في رفعه ووقفه. فقال ابن أبي حاتم عن أبيه لا أدري أيهما أصح يعني رواية يحيى بن أيوب عن عبد الله بن أبي بكر عن الزهرى عن سالم ورواية إسحاق بن حازم عن عبد الله بن أبي بكر عن سالم بغير وساطة الزهرى لكن الوقف أشبه. وقال أبو داود لا يصح رفعه، وقال الترمذى الموقوف أصح، ونقل في العلل عن البخاري أنه قال هو خطأ وهو حديث فيه اضطراب والصحيح عن ابن عمر موقوف، وقال النسائي الصواب عندي موقوف ولم يصح رفعه وقال أحمد ماله عندي ذلك الإسناد وقال الحاكم في الأربعين صحيح على شرط الشيخين، وقال في المستدرک صحيح على شرط البخاري وقال البيهقي رواه ثقات إلا أنه روي موقوفاً، وقال الخطابي أسنده عبد الله بن أبي بكر وزيادة الثقة مقبولة.

ومن خلال النظر في كتب الأصوليين يظهر أنهم حصروا معنى الإجماع في معنيين الاتفاق والعزم.

أما من حيث المعنى الاصطلاحي للإجماع فقد عُرف عدة تعاريف منها:
١. تعريف ابن حزم للإجماع: (ما اتفق أن جميع الصحابة رضي الله عنهم قالوه ودانوا به عن نبيهم ﷺ).^(١)

محترزات التعريف:

قوله: "ما اتفق عليه جميع الصحابة": قيد أخرج به إجماع غير الصحابة؛ لأن الظاهرية لا يرون إجماع غير الصحابة.

قوله: "قالوه": يخرج به الإجماع غير النطقي؛ لأنه لا يرى الإجماع السكوتي.
قوله: "ودانوا به عن نبيهم ﷺ": أي أنه لا بد للإجماع من مستند ولا يكون إلا النص.
ويرد على هذا التعريف أنه حصر الإجماع في عصر الصحابة ومنهم فقط وفي نوع واحد هو الإجماع النطقي المستند لنص.

٢. تعريف الغزالي^(٢):

(الإجماع عبارة عن اتفاق أمة محمد خاصة على أمر من الأمور الدينية).^(٣) وانتقده الآمدي من ثلاثة أوجه:

(الأول: أن ما ذكره يشعر بعدم انعقاد الإجماع إلى يوم القيامة فإن أمة محمد جملة من اتبعه إلى يوم القيامة ومن وجد في بعض الأعصار منهم إنما يعم بعض الأمة لا كلها وليس ذلك مذهباً له ولا لمن اعترف بوجود الإجماع.

(١) الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم - (١/ ٤٧).

(٢) الغزالي: أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد الطوسي، الشافعي، الغزالي، صاحب التصانيف، والذكاء المفرط. مولده سنة خمسين وأربع مئة. توفي يوم الاثنين رابع عشر جمادى الآخرة سنة خمس وخمسة مئة، وله خمس وخمسون سنة، ودفن بمقبرة الطابيران قسبة بلاد طوس [سير أعلام النبلاء لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي (١٩ / ٣٢٣، ٣٢٧، ٣٤٣)].

(٣) الإحكام في أصول الأحكام للآمدي (١/ ٢٦٢).

ومن خلال النظر في كتب الأصوليين يظهر أنهم حصروا معنى الإجماع في معنيين الاتفاق والعزم.

أما من حيث المعنى الاصطلاحي للإجماع فقد عُرف عدة تعاريف منها:
١. تعريف ابن حزم للإجماع: (ما اتفق أن جميع الصحابة رضي الله عنهم قالوه ودانوا به عن نبيهم ﷺ).^(١)

محترزات التعريف:

قوله: "ما اتفق عليه جميع الصحابة": قيد أخرج به إجماع غير الصحابة؛ لأن الظاهرية لا يرون إجماع غير الصحابة.

قوله: "قالوه": يخرج به الإجماع غير النطقي؛ لأنه لا يرى الإجماع السكوتي.

قوله: "ودانوا به عن نبيهم ﷺ": أي أنه لا بد للإجماع من مستند ولا يكون إلا النص.
ويرد على هذا التعريف أنه حصر الإجماع في عصر الصحابة ومنهم فقط وفي نوع واحد هو الإجماع النطقي المستند لنص.

٢. تعريف الغزالي^(٢):

(الإجماع عبارة عن اتفاق أمة محمد خاصة على أمر من الأمور الدينية).^(٣) وانتقده الآمدي من ثلاثة أوجه:

(الأول: أن ما ذكره يشعر بعدم انعقاد الإجماع إلى يوم القيامة فإن أمة محمد جملة من اتبعه إلى يوم القيامة ومن وجد في بعض الأعصار منهم إنما يعم بعض الأمة لا كلها وليس ذلك مذهباً له ولا لمن اعترف بوجود الإجماع.

(١) الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم - (١/ ٤٧).

(٢) الغزالي: أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد الطوسي، الشافعي، الغزالي، صاحب التصانيف، والذكاء المفرط. مولده سنة خمسين وأربع مئة. توفي يوم الاثنين رابع عشر جمادى الآخرة سنة خمس وخمس مئة، وله خمس وخمسون سنة، ودفن بمقبرة الطابيران قبة بلاد طوس [سير أعلام النبلاء لشمس الدين أبو عيد الله محمد بن أحمد الذهبي (١٩ / ٣٢٣، ٣٢٧، ٣٤٣)].

(٣) الإحكام في أصول الأحكام للآمدي (١/ ٢٦٢).

الثاني: أنه وإن صدق على الموجودين منهم في بعض الأعصار أنهم أمة محمد غير أنه يلزم مما ذكره أنه لو خلا عصر من الأعصار عن أهل الحل والعقد وكان كل من فيه عامياً واتفقوا على أمر ديني أن يكون إجماعاً شرعياً وليس كذلك.

الثالث: أنه يلزم من تقييده للإجماع بالاتفاق على أمر من الأمور الدينية أن لا يكون إجماع الأمة على قضية عقلية أو عرفية حجة شرعية وليس كذلك.^(١)

إذن الوجه الأول: لانتقاد الآمدي لتعريف الغزالي عدم ذكر قيد في عصر من الأعصار.

والوجه الثاني: عدم ذكر قيد في التعريف يخرج غير المجتهدين من أمة محمد.

وأما الوجه الثالث: هذا ليس محل انتقاد لأن الغزالي أورد التعريف للإجماع كدليل شرعي،

وليس تعريفاً للإجماع بشكل عام في كل الأمور التي يدخل فيها غير المجتهدين في الشريعة.

٣. تعريف الآمدي^(٢): (الإجماع عبارة عن اتفاق جملة أهل الحل والعقد من أمة محمد في عصر

من الأعصار على حكم واقعة من الوقائع هذا إن قلنا إن العامي لا يعتبر في الإجماع وإلا

فالواجب أن يقال الإجماع عبارة عن اتفاق المكلفين من أمة محمد إلى آخر الحد المذكور).^(٣)

محترزات التعريف:

قوله: ("اتفاق" يعم الأقوال والأفعال والسكوت والتقرير.

قوله جملة أهل الحل والعقد احتراز عن اتفاق بعضهم وعن اتفاق العامة.

قوله: "من أمة محمد احتراز عن اتفاق أهل الحل والعقد من أرباب الشرائع السالفة".

(١) المرجع السابق (٢٦٢/١).

(٢) سيف الدين الآمدي (٥٥١ - ٦٣١ هـ - ١١٥٦ - ١٢٣٣ م) علي بن محمد بن سالم التغلبي، أبو الحسن،

سيف الدين الآمدي: أصولي، باحث. أصله من آمد (ديار بكر) ولد بها، وتعلم في بغداد والشام. وانتقل إلى القاهرة،

فدرس فيها واشتهر. وحسده بعض الفقهاء فتعصبوا فيها واشتهر. وحسده بعض الفقهاء فتعصبوا عليه ونسبوه إلى

فساد القعيدة والتعطيل ومذهب الفلاسفة، فخرج مستخفياً إلى " حماة " ومنها إلى " دمشق " فتوفي بها. له نحو عشرين

مصنفاً، منها " الإحكام في أصول الإحكام - ط " أربعة أجزاء، ومختصره " منتهى السؤل - ط " و " أبكار الأفكار

- خ " في طبقيبو، الأول والثاني منه، في علم الكلام، و " لباب الألباب " و " دقائق الحقائق " و " المبين في شرح

معاني الحكماء والمتكلمين. الأعلام للزركلي - (٤ / ٣٣٢).

(٣) الإحكام في أصول الأحكام للآمدي (٢٦٢/١).

قوله: "في عصر من الأعصار" حتى يندرج فيه إجماع أهل كل عصر وإلا أُوهم ذلك أن الإجماع لا يتم إلا باتفاق أهل الحل والعقد في جميع الأعصار إلى يوم القيامة.

قوله: "على حكم واقعة" ليعم الإثبات والنفي والأحكام العقلية والشرعية.^(١)

٤. تعريف ابن قدامة^(٢): "اتفاق علماء العصر من أمة محمد ﷺ على أمر من أمور الدين".^(٣)

وهذا التعريف والذي قبله والذي بعده تعاريف متقاربة، وهذا التعريف ينقصه قيد بعد وفاة النبي ﷺ.

٥. تعريف الشيخ محمد الخضري: الإجماع اصطلاحاً: اتفاق المجتهدين من أمة محمد ﷺ في عصر على حكم شرعي.^(٤)

محترزات التعريف:

قوله اتفاق: أي "يعم الأقوال والأفعال والسكوت والتقرير".^(٥)

قوله المجتهدين: (قيد أول في التعريف يخرج به اتفاق غير المجتهدين، والـ لاستغراق العموم فيخرج به اتفاق بعض المجتهدين قلوا أو كثروا).^(٦)

ويرد على جميع التعاريف السابقة أنها لم تذكر قيد بعد وفاة النبي ﷺ ليصبح التعريف المختار: هو تعريف الشيخ محمد الخضري لكن بإضافة قيد بعد وفاة النبي ﷺ: اتفاق المجتهدين من أمة محمد ﷺ بعد وفاته في عصر على حكم شرعي.

(١) المرجع السابق (١/٢٦٢، ٢٦٣).

(٢) ابن قدامة: الشيخ الإمام القدوة العلامة المجتهد شيخ الإسلام موفق الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة بن مقدام بن نصر المقدسي الجماعيلي ثم الدمشقي الصالحي الحنبلي صاحب "المغني". مولده بجماعيل من عمل نابلس سنة إحدى وأربعين وخمس مئة في شعبان. وانتقل إلى رحمة الله يوم السبت يوم الفطر، ودفن من الغد سنة عشرين وست مئة سير أعلام النبلاء للذهبي (٢٢/١٦٥، ١٧٢).

(٣) روضة الناظر وجنة المناظر لابن قدامة. تحقيق: أ.د. عبد الكريم النملة. (٢/٤٣٩).

(٤) الإجماع حقيقته - أركانه - شروطه - حججه - بعض أحكامه لفضيلة الشيخ د. يعقوب بن عبد الوهاب الباحسين ص (٣٢) الطبعة الأولى ١٤٢٩ - مكتبة الرشد.

(٥) الإحكام في أصول الأحكام للآمدي (٢/٢٦٢).

(٦) الإجماع للشيخ د. يعقوب الباحسين (٣٢).

المطلب الثاني : درجات الإجماع.

ينقسم الإجماع باعتبارات مختلفة^(١):

١. ينقسم الإجماع باعتبار ذاته إلى:

أ- إجماع قولي.

ب- إجماع سكوتي.

٢. ينقسم الإجماع باعتبار أهله إلى:

أ- إجماع عامة.

ب- إجماع خاصة.

٣. ينقسم الإجماع باعتبار عصره ينقسم إلى:

أ- إجماع الصحابة رضي الله عنهم.

ب- وإجماع غيرهم .

٤. ينقسم الإجماع باعتبار نقله إلينا إلى:

أ- إجماع ينقله أهل التواتر.

ب- إجماع ينقله الآحاد.

٥. ينقسم الإجماع باعتبار قوته إلى:

أ- إجماع قطعي.

ب- إجماع ظني.

(١) معالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة للحيزاني ص (١٥٧)

أولاً: ينقسم الإجماع باعتبار ذاته إلى:

أ- الإجماع القولي (النطقي): ما كان اتفاق مجتهدي الأمة جميعهم عليه نطقاً، بمعنى أن

كل واحد منهم نطق بصريح الحكم في الواقعة، نفيًا أو إثباتًا^(١).

ب- الإجماع السكوتي: (مانطق به البعض، وسكت البعض)^(٢).

أو (إذا قال بعض الصحابة قولاً في تكليف، فانتشر في بقية الصحابة فسكتوا)^(٣).

مسألة: هل الإجماع السكوتي حجة أو لا وهل هو إجماع محل خلاف بين أهل العلم.

تحرير محل النزاع^(٤):

١. أن يعلم من قرينة حال الساكت أنه راض بذلك، فهو إجماع قولاً واحداً.

٢. أن يعلم من قرينه أنه ساخط غير راض فليس بإجماع قولاً واحداً.

٣. أن لا يعلم منه رضا ولا سخط فهذا محل النزاع واختلف فيه أهل العلم على أقوال^(٥):

القول الأول:

أنه إجماع، وروي عن أحمد ما يدل عليه، وبعض الحنفية الشافعية، وأبو علي الجبائي^(٦) إلا

أنه اشترط انقراض العصر.

القول الثاني:

أنه ليس بحجة، ولا إجماع، ذهب إلى ذلك الشافعي، وداود، وإمام الحرمين، وبعض

الحنفية.

(١) شرح مختصر الروضة لنجم الدين أبي الربيع سليمان بن عبد القوي الطوفي تحقيق د. عبد المحسن التركي (١٢٦/٣).

(٢) المرجع السابق (١٢٦/٣).

(٣) مذكرة أصول الفقه على روضة الناظر للشيخ محمد الأمين الشنقيطي ص (٢٨٣).

(٤) المرجع السابق.

(٥) الإحكام في أصول الأحكام للآمدي (٣٣١/١)، ومختصر الروضة للطوفي (٧٩/٣)، والإجماع للشيخ د. يعقوب

الباحسين ص (١٧٨)، والمرجع السابق.

(٦) الجبائي أبو علي محمد بن عبد الوهاب البصري. شيخ المعتزلة، وصاحب التصانيف. مات بالبصرة، سنة ثلاث

وثلاث مائة. أخذ عن أبي يعقوب الشحام. وعاش ثمانياً وستين سنة. سير أعلام النبلاء للذهبي (١٨٤/١٤).

القول الثالث:

أنه حجة، وليس بإجماع، ذهب إلى ذلك أبو هاشم الجبائي^(١)، وهو أحد قولي الشافعية، وهو قول طائفة من العلماء منهم أبو بكر الصيرفي^(٢).

القول الرابع:

(أنه إن كان ذلك حكماً من حاكم لم يكن إجماعاً وإن كان فتياً كان إجماعاً)^(٣) ذهب إلى ذلك أبو علي بن أبي هريرة^(٤) من أصحاب الشافعي.

أدلة القول الأول:

الدليل الأول:

(أن سكوتهم ظاهر في الموافقة إذ يبعد سكوت الكل مع اعتقاد المخالفة عادة فكان ذلك محصلاً للظن بالاتفاق).

وأجيب باحتمال أن يكون سكوت من سكت على الإنكار لتعارض الأدلة عنده، أو لعدم حصول ما يفيد الاجتهاد في تلك الحادثة إثباتاً أو نفيّاً أو للخوف على نفسه أو غير ذلك من الاحتمالات)^(٥) التي سأذكرها وأورد الإجابة عليها.

(١) أبو هاشم الجبائي عبد السلام بن محمد بن عبد الوهاب عبد السلام ابن الأستاذ أبي علي محمد بن عبد الوهاب بن سلام الجبائي، المعتزلي، من كبار الأذكياء. أخذ عن والده. وله: كتاب (الجامع الكبير)، وكتاب (العرض)، وكتاب (المسائل العسكرية)، وأشياء. توفي: سنة إحدى وعشرين وثلاث مائة، وله عدة تلامذة. سير أعلام النبلاء للذهبي (٦٤/١٥).

(٢) الصيرفي أبو بكر يعقوب بن أحمد بن محمد الشيخ الرئيس الثقة، المسند، أبو بكر يعقوب بن أحمد بن محمد النيسابوري. مات: في سابع ربيع الأول، سنة ست وستين وأربع مائة. سير أعلام النبلاء للذهبي (٢٤٧/١٨).

(٣) الإحكام في أصول الأحكام للآمدي (٣٣١/١).

(٤) ابن أبي هريرة الحسن بن الحسين البغدادي الإمام، شيخ الشافعية، أبو علي الحسن بن الحسين بن أبي هريرة البغدادي، القاضي، من أصحاب الوجوه. انتهت إليه رئاسة المذهب. توفي سنة خمس وأربعين وثلاث مائة. سير أعلام النبلاء للذهبي (٤٣١/١٥).

(٥) إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول - للشيخ محمد بن علي الشوكاني ت (١٢٥٠) - (٢٢٤/١)، تحقيق الشيخ: أحمد عزو عناية - دار الكتاب العربي - الطبعة الأولى - ١٤١٩ هـ.

الدليل الثاني:

(لو لم يعتد بهذا الإجماع واقتصر على الإجماعات التي ينص فيها كل واحد من المجتهدين على رؤية؛ لتعذر حصول الإجماع؛ إذ يتعذر اجتماع أهل العصر على قول يسمع من كل منهم، ولو حصل لنقل إلينا، لكن لم ينقل لنا إجماع من هذا القبيل)^(١).

الدليل الثالث:

قياس المسائل الاجتهادية على المسائل الاعتقادية، بيان ذلك:

(أنه قد ثبت أن العلماء قد أجمعوا على السكوت معتبر في المسائل، الاعتقادية ، أي: سكوت الساكت في العقيدة يدل على رضاه، لأنه لا يحل السكوت فيها على باطل، فيقاس عليها المسائل الاجتهادية، الجامع: أن الحق واحد، فلا يحل له السكوت في الأمور الاجتهادية إذا كان عنده بخلاف ما أعلن؛ لأن الساكت عن الحق شيطان أخرس؛ لأن الحق الحكم لو كان عنده بخلافه: لكان سكوته تركا للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، من أنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، فلو تصور منهم ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لأدى ذلك إلى الخلف في كلامه سبحانه وتعالى، وهو محال، فوجب أن نحمل سكوت الساكت على أنه موافق لما ذلك المجتهد، وهو الذي تدل عليه عدالته)^(٢).

الدليل الرابع:

الوقوع؛ (حيث إن التابعين كانوا إذا أشكلت عليهم مسألة، فنقل إليهم قول صحابي منتشر وسكوت الباقيين، يعملون به ولا يجيزون العدول عنهم وفي هذا إجماع من التابعين على حجية من نقل عنهم، وفي هذا إجماع من التابعين على حجية ما نقل إليهم على الصفة المذكورة)^(٣).

(١) الإجماع للشيخ د. يعقوب الباحسين ص(١٧٩)، المذهب في علم أصول الفقه المقارن لـ أ.د. عبدالكريم النملة

(٢/٩٣٤)، مكتبة الرشد، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٠م.

(٢) المذهب في علم أصول الفقه المقارن لـ أ.د. عبدالكريم النملة (٢/٩٣٤).

(٣) الإجماع للشيخ د. يعقوب الباحسين ص(١٨٠).

أدلة القول الثاني:

الذين نفوا الأمرين وهو أن يكون حجة أو إجماع.

الدليل الأول:

استدل أصحاب هذا القول بأن سكوت المجتهد يتطرق إليه عدة احتمالات^(١) منها:

١. بأن سكوت من سكت يحتمل أن يكون لأنه موافق.
٢. ويحتمل أنه لم يجتهد بعد في حكم الواقعة.
٣. ويحتمل أنه اجتهد لكن لم يؤده اجتهاده إلى شيء.
٤. أن يكون اجتهاده أدى إلى شيء لكن يحتمل أن يكون ذلك الشيء مخالفاً للقول الذي ظهر لكنه لم يظهره؛ للاحتتمالات التالية:

- أ- أن يسكت للتروي والتفكر في ارتياد وقت يتمكن من إظهاره.
- ب- أن يسكت لاعتقاده أن القائل بذلك مجتهد ولم ير الإنكار على المجتهد لاعتقاده أن كل مجتهد مصيب.
- ج- أن يسكت خشية ومهابة وخوف ثوران فتنة؛ كما نقل عن ابن عباس أنه وافق عمر في مسألة العول وأظهر النكير بعده وقال هبته وكان رجلاً مهيباً.
- د- وإما لظنه أن غيره قد كفاه مؤنة الإنكار وهو مخطئ فيه.
- هـ- ومع هذه الاحتمالات فلا يكون سكوتهم مع انتشار قول المجتهد فيما بينهم إجماعاً ولا حجة.

مناقشة أدلة القول الثاني:

مناقشة الاحتمال الأول:

(احتمال عدم الاجتهاد في الواقعة؛ فبعيد من الخلق الكثير والجم الغفير لما فيه من إهمال حكم الله تعالى فيما حدث مع وجوبه عليهم وإلزامهم به وامتناع تقليدهم لغيرهم مع كونهم من المجتهدين فإنه معصية والظاهر عدم ارتكابها من المتدين المسلم).^(١)

(١) الإحكام في أصول الأحكام للآمدي (٣٣٢، ٣٣١/١)، ومختصر الروضة للطوفي (٨١/٣)، الإجماع للشيخ د.

يعقوب الباسين ص (١٨٥).

مناقشة الاحتمال الثاني:

(احتمال عدم تأدية الاجتهاد إلى شيء من الأحكام؛ فبعيد أيضاً؛ لأن الظاهر أنه ما من حكم إلا والله تعالى عليه دلائل وإمارات تدل عليه والظاهر ممن له أهلية الاجتهاد إنما هو الإطلاع عليها والظفر بها).^(٢)

مناقشة الاحتمال الثالث:

(احتمال تأخير الإنكار للتروي والتفكر وإن كان جائزاً غير أن العادة تحيل ذلك في حق الجميع ولا سيما إذا مضت عليهم أزمنة كثيرة حتى انقضى العمر من غير نكير).^(٣)

مناقشة الاحتمال الرابع:

(احتمال السكوت عنه لكونه مجتهداً فذلك مما لا يمنع من مباحثته ومناظرته وطلب الكشف عن مأخذه لا بطريق كالعادة الجارية من زمن الصحابة إلى زمننا هذا بمناظرة المجتهدين وأئمة الدين فيما بينهم لتحقيق الحق وإبطال الباطل كمناظرهم في مسائل الجد والأخوة وقوله: أنت علي حرام والعول ودية الجنين ونحو ذلك من المسائل).^(٤)

مناقشة الاحتمال الخامس:

(احتمال التقية فبعيد أيضاً وذلك؛ لأن التقية إنما يكون فيما يحتمل المخافة ظاهراً وليس كذلك لوجهين:

الأول أن مباحث المجتهدين غير مستلزمة لذلك وذلك؛ لأن الغالب من حال المجتهد وهو من سادات أرباب الدين أن مباحثته فيما ذهب إليه لا توجب خيفة على نفسه ولا حقداً في صدره تخاف عاقبته إذ هو خلاف مقتضى الدين.

(١) الإحكام في أصول الأحكام للآمدي (٣٣١/١).

(٢) المرجع السابق (٣٣٣/١).

(٣) المرجع السابق، ومختصر الروضة للطوفي (٨١/٣).

(٤) الإحكام في أصول الأحكام للآمدي (٣٣٣/٣).

الثاني: أنه إما أن يكون خاملاً غير مخوف فلا تقية بالنسبة إليه وإن كان ذا شوكة وقوة كالإمام الأعظم فمحabbاته في ذلك تكون غشاً في الدين والكلام معه فيه يعد نصحاً والغالب إنما هو سلوك طريق النصح وترك الغش من أرباب الدين كما نقل عن علي في رده على عمر في عزمه على إعادة الجلد على أحد الشهود على المغيرة بقوله: إن جلده فأرجم صاحبك ورد معاذ عليه في عزمه على جلد الحامل بقوله: إن جعل الله لك على ظهرها سبيلاً فما جعل لك على ما في بطنها سبيلاً حتى قال عمر: لولا معاذ لهلك عمر ومن ذلك رد المرأة على عمر لما نهى عن المغالاة في مهور النساء بقولها أيعطينا الله تعالى بقوله: ﴿وَأَتَيْتُمُ إِحْدَهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا﴾^(١) ويمنعنا عمر حتى قال عمر: امرأة خاصمت عمر فخصمته ومن ذلك قول عبيدة السلماني^(٢) لعلي عليه السلام لما ذكر أنه قد تجدد له رأي في بيع أمهات الأولاد: رأيك مع الجماعة أحب إلينا من رأيك وحدك إلى غير ذلك من الوقائع.^(٣)

أدلة القول الثالث:

استدل أصحاب هذا القول بما سبق من أدلة القول الثاني (بأن الاحتمالات المتصورة في سكوتهم تنفي كونه إجماعاً. غير أنه لما كان بحسب ظاهره يدل على الموافقة كان حجة يجب العمل بها كخبر الواحد والقياس، واحتج الفقهاء بمثل هذا النوع من الإجماع فيما لم يظهر مخالف)^(٤).

(١) سورة النساء: آية (٢٠).

(٢) عبيدة السلماني المرادي. من سلمان بن ناجبة، أبو عمرو، من كبار الفقهاء بالكوفة. أسلم زمن الفتح، ولم يلق النبي صلى الله عليه وسلم. أخذ عن علي وابن مسعود. وتوفي سنة اثنتين وسبعين للهجرة. وروى له الجماعة. وهو بفتح العين وكسر الباء. الوافي بالوفيات لصلاح الدين خليل الصفدي (١٩ / ٢٨٧).

(٣) الإحكام في أصول الأحكام للآمدي (١/ ٣٣٣).

(٤) الإجماع للشيخ د. يعقوب الباسين ص (١٨٤).

مناقشة أدلة القول الثالث:

(إن هناك قاعدة وهي: " أن كل احتمال لا يعتضد بدليل صحيح فلا يعتبر")^(١)

أدلة القول الرابع:

الدليل الأول:

(أن العادة جارية بأن الحاضر مجالس الحكام يحضر على بصيرة من خلافهم له فيما ذهب إليه من غير إنكار لما في الإنكار من الافتيات عليهم).^(٢)

الدليل الثاني:

(أن حكم الحاكم يقطع الخلاف ويسقط الاعتراض بخلاف قول المفتي فإن فتواه غير لازمة ولا مانعة من الاجتهاد).^(٣)

نوقش الدليل الأول:

(أن ما ذكر فيها من الاحتمالات وإن كانت منقذة عقلاً فهي خلاف الظاهر من أحوال أرباب الدين وأهل الحل والعقد)^(٤).

نوقش الدليل الثاني:

(إن ذلك يصح بعد استقرار المذاهب وأما قبل ذلك فلا نسلم أن السكوت لا يكون إلا عن رضی).^(٥)

الراجع:

القول الأول: وهو أن الإجماع السكوتي حجة وإجماع لأن من خلال عرض الأدلة ومناقشتها يظهر أنه لا يوجد دليل قاطع في محل النزاع، ولكن المسألة المطروحة في حال لم

(١) المذهب في علم أصول الفقه المقارن لـ أ.د. عبدالكريم النملة (٢/٩٤٠)، مكتبة الرشد، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٠م.

(٢) الإحكام في أصول الأحكام للآمدي (١/٣٣٢)، الإجماع لشيخ د. يعقوب الباسين ص (١٨٥).

(٣) المرجعان السابقان.

(٤) الإحكام في أصول الأحكام للآمدي (١/٣٣١)،

(٥) المرجع السابق (١/٣٣٤).

تكن قرائن تصرف المجتهد عن إبداء رأيه، فالإجماع السكوتي لا بد من الاعتماد عليه ما لم
تقم قرينة تدل على خلاف ذلك. والله أعلم.

ثانيا: ينقسم الإجماع باعتبار أهله إلى:

أ- "إجماع عامة: هو إجماع عامة المسلمين على ما عُلِمَ من هذا الدين بالضرورة،
كالإجماع على وجوب الصلاة والصوم والحج، وهذا قطعي لا يجوز فيه
التنازع".^(١)

ب- إجماع خاصة: "هو إجماع الخاصة دون العامة هو ما يُجمع عليه العلماء،
كإجماعهم على أن الوطء مفسد للصوم، وهذا النوع من الإجماع قد يكون
قطعيًا، وقد يكون غير قطعي، فلا بد من الوقوف على صفته للحكم عليه".^(٢)

ثالثا: ينقسم الإجماع باعتبار عصره ينقسم إلى:

أ- إجماع الصحابة رضي الله عنهم. فإجماعهم يمكن معرفته والقطع بوقوعه، ولا
نزاع في حجته عند القائلين بحجية الإجماع.^(٣)

ب- إجماع غير الصحابة، ممن بعدهم فإن أهل العلم اختلفوا فيه من حيث إمكان
وقوعه، وإمكان معرفته والعلم به، أما القول بحجته فهو مذهب جمهور
الأمة.^(٤)

رابعا: ينقسم الإجماع باعتبار نقله إلينا^(٥) إلى:

أ- إجماع ينقله أهل التواتر.

ب- إجماع ينقله الآحاد.

(١) معالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة للحيزاني ص (١٥٨)، الرسالة للشافعي (٣٥٨ و ٣٥٩)، والفقيه

والمتفقه لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي (٤٣٤/١).

(٢) المراجع السابقة.

(٣) معالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة للحيزاني ص (١٥٨)

(٤) المراجع السابق ص (١٥٨)

(٥) المراجع السابق.

وكلا القسمين يحتاج إلى نظر من جهتين:
من جهة صحة النقل وثبوته، ومن جهة نوع الإجماع ومرتبته.

خامسا: ينقسم الإجماع باعتبار قوته^(١) إلى:

ا- إجماع قطعي، مثل إجماع الصحابة المنقول بالتواتر خاصة، والإجماع على ما
عُلم من الدين بالضرورة.

ب- إجماع ظني، كالإجماع السكوتي الذي غلب على الظن فيه اتفاق الكل.
وعلى كل فتقدير قطعي الإجماع وظنيه أمر نسبي، يتفاوت من شخص إلى آخر، إلا أن
الأمر المقطوع به في قضية الإجماع شيان:
أولهما: أن الإجماع من حيث الجملة أصل مقطوع به وحجة قاطعة، وإن اختلف في بعض
أنواعه وبعض شروطه.

وثانيهما: أن بعض أنواع الإجماع لا يقبل فيها نزاع

(١) المرجع السابق ص (١٥٩).

المطلب الثالث: الفرق بين الإجماع والاتفاق.

تمهيد:

يرى القارئ للكتب التي تعني بنقل الإجماع والخلاف العالي عبارات مختلفة في نقل الإجماع فمن العلماء من يقول: أجمعوا على كذا، ومنهم من يقول: اتفقوا، ومنهم ينقل الإجماع بنفي الخلاف، وغير ذلك. فهل الجميع يعنون معنى واحد أو هناك فرق بين قول بعض العلماء اجمعوا وقولهم اتفقوا أو قولهم لا أعلم خلافا ونحو ذلك مما يرد في كتب الفقهاء.

الأصل أنه لا فرق بين الإجماع والاتفاق؛ لأنه يراد بهاتين الكلمتين نفي الخلاف فإذا قيل أجمعوا، أو اتفقوا، أو لا خلاف فعلى هذا الأصل، لكن يبقى أن هناك اصطلاحات لبعض أهل العلماء فالبعض يطلق الإجماع ويريد به إجماع جميع المجتهدين، والبعض إذا أطلق الإجماع أراد به قول الأكثر، والبعض إذا نقل الاتفاق عني به اتفاق الأئمة الأربعة.

من العلماء الذين لا يرون التفريق بين لفظي الإجماع والاتفاق:

تجد بعض العلماء لا يفرق بين الإجماع والاتفاق، وأن اللفظان مترادفان^(١)، مثل ابن عبد البر^(٢)، والقرافي^(٣)، وشيخ الإسلام ابن تيمية^(٤)، والنووي^(٥)، ومن الأمثلة عند النووي :

(١) المجموع للنووي (٢/٢٢١)

(٢) ابن عبد البر أبو عمر يوسف بن عبد الله النمري الإمام، العلامة، حافظ المغرب، شيخ الإسلام، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري، الأندلسي، القرطبي، المالكي، صاحب التصانيف الفائقة. مولده: في سنة ثمان وستين وثلاث مائة في شهر ربيع الآخر. وقيل: في جمادى الأولى. فاختلفت الروايات في الشهر عنه. مات أبو عمر ليلة الجمعة سلخ ربيع الآخر، سنة ثلاث وستين وأربع مائة، واستكمل خمسا وتسعين سنة وخمسة أيام. سير أعلام النبلاء للذهبي (١٨/١٥٤).

(٣) هو أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن، أبو العباس، شهاب الدين القرافي. أصله من صنهاجة، قبيلة من بربر المغرب. نسبته إلى القرافة وهي الحلة المجاورة لقبر الإمام الشافعي بالقاهرة. فقيه مالكي. مصري المولد والمنشأ والوفاة. انتهت إليه رئاسة الفقه علي مذهب مالك. القرافي من تصانيفه: ((الفروق)) في القواعد الفقهية، و((الذخيرة)) في الفقه؛ و((شرح تنقيح الفصول في الأصول))؛ و((الأحكام في تمييز الفتاوى من الأحكام)) (٦٢٦ - ٦٨٤ هـ). ينظر: الأعلام للزركلي - (١/٩٥)، الوافي بالوفيات لصلاح الدين خليل بن أبيك الصفدي (٦/١٤٦).

(٤) أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم الحراني ابن تيمية، الشيخ الإمام العالم العلامة المفسر الفقيه المجتهد الحافظ المحدث شيخ الإسلام نادرة العصر ذو التصانيف والذكاء والحافظة المفرطة تقي الدين أبو العباس ابن العالم المفتي شهاب الدين ابن الإمام شيخ الإسلام محمد الدين أبي البركات مؤلف "الأحكام" وتيمية لقب جده الأعلى، ولد بجران عاشر ربيع الأول سنة إحدى وستين وتحول به أبوه إلى دمشق سنة سبع وستين وتوفي سنة ثمان وعشرين وسبع مائة. الوافي بالوفيات (٢/٣٧٥).

(٥) يحيى بن شرف بن حسن بن حسين بن جمعة بن حزام الحازمي العالم محيي الدين أبو زكريا النووي ثم الدمشقي الشافعي العلامة شيخ المذهب وكبير الفقهاء في زمانه ولد بنوى سنة إحدى وثلاثين وستمائة ونوى قرية من قرى

قد نقل النووي رحمه الله الإجماع في مسائل فقال فيها بإجماع المسلمين مثل مسألة تطهير الرجل والمرأة من إناء واحد جائز قال رحمه الله - : (وأما تطهير الرجل والمرأة من إناء واحد فهو جائز بإجماع المسلمين)^(١).

وقال في المجموع^(٢): (واتفق العلماء على جواز وضوء الرجل والمرأة واغتسالهما جميعاً من إناء واحد).

فالذي يظهر من كلام النووي رحمه الله أنه لا يفرق بين الإجماع والاتفاق حيث نقل الإجماع بلفظ الإجماع والاتفاق على نفس المسألة.

ومن العلماء من يرى انعقاد إجماع الأكثر ومنهم (محمد بن جرير الطبري)^(٣) وأبو بكر الرازي^(٤) وأبو الحسين الخياط^(٥) من المعتزلة وأحمد بن حنبل في إحدى الروايتين عنه إلى انعقاده^(٦).

حوران وقد قدم دمشق سنة تسع وأربعين وقد حفظ القرآن فشرع في قراءة التنبيه فيقال إنه قرأه في أربعة أشهر ونصف وقرأ ربع العبادات من المذهب في بقية السنة ثم لزم المشايخ تصحيحاً وشرحاً فكان يقرأ في كل يوم اثنا عشر درساً على المشايخ ثم اعتنى بالتصنيف فجمع شيئاً كثيراً منها ما أكمله ومنها ما لم يكمله فما كمل شرح مسلم والروضة والمنهاج توفي في ليلة أربع وعشرين من رجب من هذه السنة بنوى ودفن هناك رحمه الله وعفا عنا وعنه. ينظر: البداية والنهاية لابن كثير (٢٧٨/١٣)

(١) صحيح مسلم بشرح النووي (٤ / ٢).

(٢) المجموع للنووي (٢ / ٢٢١).

(٣) محمد بن جرير ابن يزيد بن كثير، الامام العلم المحدث، عالم العصر، أبو جعفر الطبري، صاحب التصانيف البديعة، من أهل آمل طبرستان. مولده سنة أربع وعشرين ومئتين، وطلب العلم بعد الأربعين ومئتين، وأكثر الترحال، ولقي نبلاء الرجال، وكان من أفراد الدهر علماً، وذكاءً، وكثرة تصانيف. توفي ابن جرير عشية الأحد ليومين بقيا من شوال سنة عشر وثلاث مائة، ودفن في داره بركة يعقوب - يعني: ببغداد. سير أعلام النبلاء - (١٤ / ٢٦٨).

(٤) أبو بكر الرازي أحمد بن علي الحنفي الإمام، العلامة، المفتي، المحدث، علم العراق، أبو بكر أحمد بن علي الرازي، الحنفي، صاحب التصانيف. تفقه بأبي الحسن الكرخي، وكان صاحب حديث ورحلة، لقي أبا العباس الأصم، وطبقته بئسابور، وعبد الباقي بن قانع، ودعلج بن أحمد، وطبقتهما ببغداد، والطبراني، وعدة بأصبهان. مات في ذي الحجة سنة سبعين وثلاث مائة، وله خمس وستون سنة. سير أعلام النبلاء للذهبي (٣٤١/١٦).

(٥) الخياط عبد الرحيم بن محمد بن عثمان شيخ المعتزلة البغداديين، له الذكاء المفرط، والتصانيف المهدبة، وكان قد طلب الحديث، وكتب عن يوسف بن موسى القطان وطبقته. وهو أبو الحسين، عبد الرحيم بن محمد بن عثمان. وكان من مجور العلم، له جلالة عجيبة عند المعتزلة، وهو من نظراء الجبائي. صنف كتاب (الاستدلال) ونقض كتاب ابن الراوندي في فضائح المعتزلة، وكتاب (نقض نعت الحكمة) وكتاب (الرد على من قال بالأسباب) وغير ذلك. - قال الذهبي: لا أعرف وفاته. سير أعلام النبلاء للذهبي (٢٢١/١٤).

(٦) الإحكام للآمدي (٣١١/١).

ومن العلماء الذين يرون التفريق بين اللفظين:

الشيخ بدر الدين العيني الحنفي^(١) حيث قال: "فقد نقل الطحاوي^(٢) والقرطبي والنووي الاتفاق على جواز ذلك وقال بعضهم وفيه نظر لما حكاه ابن المنذر عن أبي هريرة أنه كان ينهى عنه وكذا حكاه ابن عبد البر عن قوم قلت في نظره نظر لأنهم قالوا بالاتفاق دون الإجماع فهذا القائل لم يعرف الفرق بين الاتفاق والإجماع"^(٣).

وقال العدوي في حاشيته: (قوله وبغيرها اتفاقا) "الأولى وبغيرها إجماعا، لأن الاتفاق اتفاق المذهب، والإجماع إجماع الأمة"^(٤).

ويحتمل أنه مذهب لابن حزم؛ لأنه^(٥) قال: "وليعلم القارئ لكلامنا أن بين قولنا لم يجمعوا وبين قولنا لم يتفقوا فرقا عظيما"^(٦).

ويحتمل أنه لا يفرق، لأنه نقل مسائل الإجماع في كتابه "مراتب الإجماع" بلفظ اتفقوا، وقال: "وإنما ندخل في هذا الكتاب الإجماع التام الذي لا يخالف فيه البتة"^(٧)، وقال في

(١) بدر الدين العيني (٧٦٢ - ٨٥٥ هـ = ١٣٦١ - ١٤٥١ م) محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد، أبو محمد، بدر الدين العيني الحنفي: مؤرخ، علامة، من كبار المحدثين. أصله من حلب ومولده في عينتاب (وإليها نسبته) أقام مدة في حلب ومصر ودمشق والقدس. وولي في القاهرة الحسبة وقضاء الحنفية ونظر السجون، وتقرب من الملك المؤيد حتى عد من أخصائه. ولما ولي الأشرف سامره ولزمه، وكان يكرمه ويقدمه. ثم صرف عن وظائفه، وعكف على التدريس والتصنيف إلى أن توفي بالقاهرة. من كتبه (عمدة القاري في شرح البخاري - ط) أحد عشر مجلدا، و (مغاني الاختيار في رجال معاني الآثار - خ) مجلدان، في مصطلح الحديث ورجاله، و (العلم الهيب في شرح الكلم الطيب - خ) لابن تيمية، وغيرها. الأعلام للزركلي - (٧ / ١٦٣).

(٢) الطحاوي: الإمام العلامة الحافظ الكبير، محدث الديار المصرية وفقهها، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة بن عبد الملك، الأزدي الحجري المصري الطحاوي الحنفي، صاحب التصانيف من أهل قرية طحا من أعمال مصر، مولده في سنة تسع وثلاثين ومئتين. ومات سنة إحدى وعشرين وثلاث مئة. سير أعلام النبلاء - (١٥ / ٢٧).

(٣) عمدة القاري شرح صحيح البخاري لبدر الدين العيني الحنفي (٨٥/٣).

(٤) موسوعة الإجماع لشيخ الإسلام ابن تيمية جمع وترتيب د. عبدالله بن مبارك آل سيف ص (١٦) الطبعة الأولى ١٤٣٠ هـ - مكتبة الرشد - الرياض.

(٥) المرجع السابق ص (١٥).

(٦) مراتب الإجماع لابن حزم ص (٢٧٤).

(٧) المرجع السابق ص (٣٢).

موضع آخر: "هذا كل ما كتبنا، فهو اليقين الذي لا شك فيه، متيقن لا يحل لأحد خلافه البتة" (١).

وقد خالف شرطه في بعض المسائل، وانتقده شيخ الإسلام في ذلك حيث قال: "فقد اشترط في الإجماع، ما يشترطه كثير من العلماء من أهل الكلام والفقه، وهو العلم بنفي الخلاف، وأن يكون العلم بالإجماع تواترا. وجعل العلم بالإجماع من العلوم الضرورية، كالعلم بعلوم الأخبار المتواترة عند الأكثرين. ومعلوم أن كثيرا من الإجماعات التي حكاها ليست قريبة من هذا الوصف، فضلا عن أن تكون منه، فكيف وفيها ما فيه من خلاف معروف، وفيها ما هو نفسه ينكر الإجماع فيه، ويختار خلافه من غير ظهور مخالف!" (٢)

ولعل ذكر ابن حزم لفظ اتفقوا في كتابه "مراتب الإجماع" لا يعني موافقته لهذا القول ضرورة بدليل كلام شيخ الإسلام المتقدم.

وكذلك صاحب الإفصاح فإنه يفرق بين فإذا قال: أجمعوا غير قوله اتفقوا، فإذا نقل الاتفاق فهو يريد به الأئمة الأربعة، وأما إذا أطلق الإجماع فهو يريد به جميع المجتهدين من علماء الأمة.

(١) مراتب الإجماع لابن حزم ويليئه نقد مراتب الإجماع لشيخ الإسلام ابن تيمية ص (٢٨٧)

(٢) المرجع السابق ص (٢٨٧)

الفرق بين الإجماع والاتفاق^(١):

١. أن يكون المراد بالاتفاق اتفاق الأئمة الأربعة، وقيل أنه مصطلح ابن هبيرة.
٢. وقد يراد بالاتفاق أحيانا المذهب.
٣. وقد يكون الاتفاق ظنيا لا يجزم العالم بالإجماع، قال ابن حزم رحمه الله "واتفقوا - فيما أظن - أن في المأمومة إذا كانت في الرأس خاصة..."^(٢). ولم يقل أجمعوا فيما أظن ، مما يدل أن الإجماع أقوى عنده، لأن العالم يجزم بالإجماع.
٤. الفرق بين الإجماع والاتفاق من الناحية اللغوية :
قد سبق في تعريف الإجماع أن من معانيه الاتفاق والعزم.^(٣)
أولا: الإجماع بمعنى العزم يمكن أن يكون من الواحد، قال ﷺ: " لا صيام لمن لم يجمع الصيام من الليل"^(٤)، فيتضح أن الإجماع بهذا المعنى يصح من الواحد.
ثانيا: الإجماع بمعنى الاتفاق وهذا لا يكون إلا من اثنين فأكثر، يقال: أجمعوا على كذا أي صاروا ذا جمع، ويقال أجمع القوم على كذا أي اتفقوا عليه.
قال ابن حزم رحمه الله " والإجماع: هو في اللغة ما اتفق عليه اثنان فصاعدا وهو الاتفاق."^(٥)

الفرق بين الإجماع ونفي الخلاف^(٦):

١. أن الإجماع ما يجزم فيه العالم بالإجماع، ونفي الخلاف ما أصاب العالم فيه تردد جعله لا يجزئ على نقل الإجماع الصريح.

(١) موسوعة الإجماع لشيخ الإسلام ابن تيمية جمع وترتيب د. عبدالله بن مبارك آل سيف ص (١٦) - مكتبة الرشد - الطبعة الأولى ١٤٣٠ هـ. الثلاثة الفروق الأولى فقط.

(٢) مراتب الإجماع لابن حزم ص (٢٣١)

(٣) تقدم تعريف الإجماع لغة ص (٣١).

(٤) تقدم تخریجه ص (٣١).

(٥) الإحكام لابن حزم - (١ / ٤٣).

(٦) موسوعة الإجماع لشيخ الإسلام ابن تيمية جمع وترتيب د. عبدالله آل سيف ص (١٧، ١٨).

٢. عبارة نفي الخلاف قد يراد بها نفي خلاف محصور ببلد معين، أو مذهب معين،
بحسب اصطلاح قائلها، بخلاف عبارة الإجماع إذا أطلقت، فالغالب أن المراد بها
إجماع العلماء كلهم.

المطلب الرابع: الاعتداد بخلاف الظاهرية في الإجماع.

المسألة الأولى: هل يعتد بخلاف الظاهرية في انعقاد الإجماع في المسائل الفقهية الفرعية؟

أولاً: تحرير محل النزاع:

أ- لا خلاف بين العلماء في أنه يعتد بقول الظاهرية إذا وافقهم أحد المذاهب الأربعة أو كلها.

ب- في حالة مخالفة الظاهرية للمذاهب الأربعة وموافقتهم لرأي بعض العلماء المعتبرين، فهذا ليس محل البحث.

ت- محل النزاع فيما إذا صدر عن الظاهرية رأي في مسألة لم يسبقوا إليه وخالف المذاهب الأربعة فهل يعتد بخلافهم أم لا ؟

والإشكال أن يكون الأئمة الأربعة وأتباعهم في جهة و الظاهرية في جهة، والظاهرية معهم الأصل فهل يتبع الظاهرية أم ماذا يجب على طالب العلم وهذا كله مبني على الخلاف في المسألة.

المطلب الرابع: الاعتداد بخلاف الظاهرية في الإجماع.

المسألة الأولى: هل يعتد بخلاف الظاهرية في انعقاد الإجماع في المسائل الفقهية الفرعية؟

أولاً: تحرير محل النزاع:

أ- لا خلاف بين العلماء في أنه يعتد بقول الظاهرية إذا وافقهم أحد المذاهب الأربعة أو كلها.

ب- في حالة مخالفة الظاهرية للمذاهب الأربعة وموافقتهم لرأي بعض العلماء المعتبرين، فهذا ليس محل البحث.

ت- محل النزاع فيما إذا صدر عن الظاهرية رأي في مسألة لم يسبقوا إليه وخالف المذاهب الأربعة فهل يعتد بخلافهم أم لا ؟

والإشكال أن يكون الأئمة الأربعة وأتباعهم في جهة و الظاهرية في جهة، والظاهرية معهم الأصل فهل يتبع الظاهرية أم ماذا يجب على طالب العلم وهذا كله مبني على الخلاف في المسألة.

ثانيا: أختلف أهل العلم المبتون للقياس في الاعتداد بخلاف الظاهرية في الإجماع على

أقوال:

القول الأول^(١):

أنه لا يعتد بخلاف الظاهرية مطلقا. ذهب إلى ذلك القاضي أبو بكر^(٢)، والأستاذ أبو إسحاق الإسفراييني^(٣)، ونسبه إلى الجمهور.

وأبو المعالي بن الجويني^(٤)، وأبو بكر الرازي، والنووي^(٥)، وأبو العباس القرطبي^(٦).

القول الثاني^(٧):

الاعتداد بخلاف الظاهرية مطلقاً، قال ابن الصلاح^(٨): "الذي اختاره الأستاذ أبو منصور^(٩)

أنه يعتبر خلافه في الفقه الذي استقر عليه الأمر آخرا فيما هو الأغلب الأعرف من صفوة

(١) البحر المحيط في أصول الفقه للزركشي (٣/ ٥١٨، ٥١٩)، وفتاوى ابن الصلاح (٢٠٦/١).
(٢) ابن الباقلاني أبو بكر محمد بن الطيب البصري الإمام، العلامة، أُوحد المتكلمين، مقدم الأصوليين، القاضي، أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن قاسم البصري، ثم البغدادي، ابن الباقلاني وتوفي القاضي أبو بكر يوم السبت، لتسع بقين من ذي القعدة، سنة ثلاث وأربع مئة. [سير أعلام النبلاء للذهبي (١٧ / ١٩١)].
(٣) أبو إسحاق الإسفراييني الإمام العلامة الأُوحد، الأستاذ، أبو إسحاق، إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن مهران، الاسفراييني الأصولي الشافعي توفي بنيسابور يوم عاشوراء من سنة ثمان عشرة وأربع مئة. سير أعلام النبلاء (١٠٦/١٣).

(٤) إمام الحرمين أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني الإمام الكبير، شيخ الشافعية، إمام الحرمين، أبو المعالي عبد الملك ابن الإمام أبي محمد عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن يوسف بن محمد بن حيويه الجويني، ثم النيسابوري، ضياء الدين، الشافعي، صاحب التصانيف. ولد في أول سنة تسع عشرة وأربع مئة، وتوفي في الخامس والعشرين من ربيع الآخر سنة ثمان وسبعين وأربع مئة. سير أعلام النبلاء للذهبي (٤٦٩/١٨).

(٥) صحيح مسلم بشرح النووي باب السواك (١٤٢/٣)، ونقله صاحب البحر المحيط في أصول الفقه (٥١٨/٣).
(٦) أحمد بن عمر بن إبراهيم، أبو العباس الأنصاري القرطبي: فقيه مالكي، من رجال الحديث. يعرف بابن المزين. كان مدرسا بالإسكندرية وتوفي بها. (٥٧٨ - ٦٥٦ هـ - ١١٨٢ - ١٢٥٨ م) ومولده بقرطبة. من كُتبه (المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم - خ) شرح به كتابا من تصنيفه في اختصار مسلم. ينظر: الأعلام للزركلي (١٨٦/١).

(٧) سير أعلام النبلاء للذهبي (٩٩/٢٥)، فتاوى ابن الصلاح (٢٠٧/١)، البحر المحيط في أصول الفقه للزركشي (٥١٨/٣).

(٨) ابن الصلاح، أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن الكردي الإمام، الحافظ، العلامة، شيخ الإسلام، تقي الدين، أبو عمرو عثمان ابن المفتي صلاح الدين عبد الرحمن بن عثمان بن موسى الكردي، الشهرزوري، الموصلية، الشافعي، صاحب (علوم الحديث). مولده: في سنة سبع وسبعين وخمس مئة. توفي الشيخ تقي الدين - رحمه الله -: في سنة الخوارزمية، في سحر يوم الأربعاء، الخامس والعشرين من شهر ربيع الآخر، سنة ثلاث وأربعين وست مئة سير أعلام النبلاء للذهبي (٤٣ / ١٤٤، ١٤٩).

(٩) عبد القاهر بن طاهر أبو منصور البغدادي العلامة، البارع، المتفنن، الأستاذ، أبو منصور البغدادي، نزيل خراسان، وصاحب التصانيف البديعة، وأحد أعلام الشافعية. مات: بإسفرايين في سنة تسع وعشرين وأربع مئة وقد شاخ. سير أعلام النبلاء للذهبي (٥٧٣/١٧).

الأئمة المتأخرين الذين أوردوا مذاهب داود في إثبات مصنفاتهم المشهورة في الفروع كالشيخ أبي حامد الإسفرائيني وصاحبه المحاملي^(١) وغيرهم رضي الله عنهم فانه لولا اعتدادهم بخلافه لما أوردوا مذاهبه في أمثال مصنفاتهم هذه لمنافاة موضوعها لذلك^(٢)، "وحكاه عن الجمهور، وأن الصحيح من المذهب الاعتداد بخلافهم"^(٣)، وكذلك الشيخ أبي حامد الاسفرائيني^(٤)، والماوردي^(٥)، والقاضي أبي الطيب^(٦).

(١) المحاملي رحمه الله: هو أبو الحسن أحمد بن محمد بن أحمد الضبي بالضاد المعجمة المعروف بالمحاملي وله مصنفات مشهورة منها تحرير الأدلة والمقنع مات يوم الأربعاء لتسع بقين من ربيع الآخر سنة خمس عشرة وأربعمائة وله سبع وأربعون سنة قال العبادي أن من أجداد أبي الحسن المذكور القاضي أبو بكر عبد الله بن الحسن بن إسماعيل يعرف أيضا بالمحاملي وله ابن يقال له محمد كان فقيها ورعا ذا تصنيف ويعرف أيضا بالمحاملي ولذلك الابن ابن يقال له أبو طاهر وكان ذا تخريج ويعرف أيضا بالمحاملي ويعرف في هذا أن هذه النسبة قديمة فيهم ومن الأصحاب رجل آخر يقال له أبو الحسن المحاملي الكبير ليس من هؤلاء كما صرح به العبادي واعتمده المؤرخون نقل عنه جماعة من أصحابنا وكان من القدماء المعظمين في زمانه وحيث يطلق المحاملي فالمراد الأول. [طبقات الفقهاء لإبراهيم بن علي الشيرازي (٢٢٤/١)].

(٢) فتاوى ابن الصلاح (٢٠٧/١).

(٣) البحر المحيط في أصول الفقه للزركشي (٥١٩/٣).

(٤) أبو حامد الاسفرائيني الاستاذ العلامة، شيخ الإسلام، أبو حامد، أحمد بن أبي طاهر محمد بن أحمد الاسفرائيني، شيخ الشافعية ببغداد. ولد سنة أربع وأربعين وثلاث مئة. مات أبو حامد في شوال، سنة ست وأربع مئة، وكان يوما مشهودا، ودفن في داره، ثم نقل بعد أربع سنين، ودفن بباب حرب، رحمه الله. ينظر: سير أعلام النبلاء (١٨٦/٣٣).

(٥) المرجع السابق. والماوردي: أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب لإمام العلامة، أفضى القضاة، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري، الماوردي، الشافعي، صاحب التصانيف. حدث عن: الحسن بن علي الجبلي، صاحب أبي خليفة الجمحي، وعن محمد بن عدي المنقري، ومحمد بن معلى، وجعفر بن محمد بن محمد بن الفضل. حدث عنه: أبو بكر الخطيب، ووثقه، وقال: مات في ربيع الأول سنة خمسين وأربع مئة، وقد بلغ ستا وثمانين سنة، وولي القضاء ببلدان شتى، ثم سكن بغداد. سير أعلام النبلاء للذهبي (٥١/٣٥).

(٦) أبو الطيب الطبري طاهر بن عبد الله بن طاهر الإمام، العلامة، شيخ الإسلام، القاضي، أبو الطيب طاهر بن عبد الله بن طاهر بن عمر الطبري، الشافعي، فقيه بغداد. ولد: سنة ثمان وأربعين وثلاث مئة، بآمل. قال أبو إسحاق في (الطبقات): ومنهم شيخنا وأستاذنا القاضي أبو الطيب، توفي عن مائة وستين، لم يخل عقله، ولا تغير فهمه، يفتي مع الفقهاء، ويستدرك عليهم الخطأ، ويقضي، ويشهد، ويحضر المواكب إلى أن مات سير أعلام النبلاء للذهبي (١٨٥/٣٤).

القول الثالث:

أنه يعتد بخلاف الظاهرية فيما يتعلق بالآثار والتوقيف واللفظ اللغوي، ولا مخالف للقياس فيها لم يصح أن يعتقد الإجماع بدوئهم. ذهب إلى هذا القول أبي الحسن الإبياري.^{(١)(٢)}

القول الرابع: أنه يعتد بخلاف الظاهرية إلا ما بناه داود من مذهبه في نفي القياس الجلي وما اجتمع عليه القياسيون من أنواعه أو على غيره التي قام الدليل القاطع على بطلانها فاتفق من عداه في مثله على خلافه إجماع منعتد وقوله في مثله معدود خارقاً للإجماع. ذهب إلى هذا القول ابن الصلاح^(٣).

أدلة أصحاب القول الأول:^(٤)

١. لأنهم أنكروا القياس في الحوادث الشرعية ولا بد من القياس لإظهار الأحكام الشرعية.

٢. لأن من أنكر القياس لا يعرف طرق الاجتهاد، وإنما هو متمسك بالظواهر، فهو كالعامي الذي لا معرفة له.

(١) علي بن إسماعيل بن علي بن حسين بن عطية الملقب شمس الدين وشهرته بأبي الحسن الأبياري قال الحافظ أبو المظفر: منصور بن سليم كان الأبياري من العلماء الأعلام وأئمة الإسلام بارعاً في علوم شتى: الفقه وأصوله وعلم الكلام ودرس بالنظر المحروس: ثغر الإسكندرية وناب في الحكم عن القاضي أبي القاسم: عبد الرحمن بن سلامة القضاء المالكي وانتفع به جماعة وله تصانيف حسنة منها شرح البرهان لأبي المعالي الجويني وله كتاب سفينة النجاة على طريقة الإحياء. قال الحافظ بن يقظة سأله عن مولده فقال: في سنة سبع وخمسين وخمسمائة. قال الحافظ وحيد الدين: أبو المظفر: وأصله من أيار مدينة من بلاد مصر على شاطئ النيل بينها وبين الإسكندرية أقل من يومين وهي بفتح الهمزة وبعدها ياء مشاة من تحت وبعدها ألف ثم راء مهملة وبعضهم يصحفها بأنبار بنون بعد الهمزة. توفي رحمه الله تعالى سنة ست عشرة وستمائة. [الدياج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب لإبراهيم بن علي بن محمد بن فرحون البعمري المالكي (٢١٣/١)].

(٢) البحر المحيط في أصول الفقه للزركشي (٥١٩/٣).

(٣) فتاوى ابن الصلاح (٢٠٧/١).

(٤) البحر المحيط في أصول الفقه للزركشي (٥١٨/٣).

يجاب عن هذا بعدة أوجه:

الأول: لا يسلم لهم ذلك؛ لأن الظاهرية متمسكون بالدليل من الكتاب والسنة والناظر في مسائلهم قلما يجد خلوها من الدليل والنظر والاستنباط؛ لأن هناك طرق غير القياس لاستنباط الأحكام قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بَيِّنَاتٍ لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ (٨٩) (١)

"وعلى كل حال فلا شك أن القرآن فيه بيان كل شيء. والسنة كلها تدخل في آية واحدة منه؛ وهي قوله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ (٢) (٣).
الثاني: أجاب شارح المحصول " يلزم القائل بذلك أنه لا يعتبر خلاف منكر العموم، وخير الواحد، ولا ذاهب إليه." (٤)

الثالث: أنه ليس من شروط الاجتهاد عدم إنكار القياس، فلا يخرجهم ذلك عن كونهم مجتهدين، وإنكارهم القياس أوردوا عليه أدله والعامي لا يستطيع ذلك فافترقا.
٣. لأنهم معاندون مباهتون فيما ثبت استفاضة وتواتراً، لأن معظم الشريعة صادرة عن الاجتهاد، ولا تفي النصوص بعشر معشارها، وهؤلاء ملتحقون بالعوام (٥).

وأجيب بأن من عرف نصوص الشريعة حق معرفتها وتدبر آيات الكتاب العزيز، وتوسع في الإطلاع على السنة المطهرة، علم بأن نصوص الشريعة تفي بجميع ما تدعو الحاجة إليها في جميع الحوادث، وأهل الظاهر فيهم من أكابر الأئمة وحفاظ الشريعة المتقيدين بنصوص الشريعة جمع جم، ولا عيب لهم إلا ترك العمل بالآراء الفاسدة التي لم يدل عليها كتاب، ولا سنة ولا قياس مقبول. -وتلك شكاة ظاهر عنك عارها (٦)- نعم قد جمدوا في مسائل

(١) سورة النحل آية (٨٩).

(٢) سورة الحشر: آية (٧).

(٣) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (٤٢٧/٢) الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - لبنان - الطبعة: ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.

(٤) البحر المحيط في أصول الفقه للزركشي (٥١٨/٣).

(٥) سير أعلام النبلاء للذهبي (٩٨/٢٥)، والبحر المحيط في أصول الفقه للزركشي (٥١٨/٣).

(٦) هو عجز بيت صدره: وغيرها الواشون أني أحبها وهو لأبي ذؤيب الهذلي - التذكرة الحمدونية (١٨٦/٦).

يجاب عن هذا بعدة أوجه:

الأول: لا يسلم لهم ذلك؛ لأن الظاهرية متمسكون بالدليل من الكتاب والسنة والناظر في مسائلهم قلما يجد خلوها من الدليل والنظر والاستنباط؛ لأن هناك طرق غير القياس لاستنباط الأحكام قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بَيِّنَاتٍ لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ (٨٩) (١)

"وعلى كل حال فلا شك أن القرآن فيه بيان كل شيء. والسنة كلها تدخل في آية واحدة منه؛ وهي قوله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ (٢) (٣).
الثاني: أجاب شارح المحصول " يلزم القائل بذلك أنه لا يعتبر خلاف منكر العموم، وخير الواحد، ولا ذاهب إليه. " (٤)

الثالث: أنه ليس من شروط الاجتهاد عدم إنكار القياس، فلا يخرجهم ذلك عن كونهم مجتهدين، وإنكارهم القياس أوردوا عليه أدله والعامي لا يستطيع ذلك فافترقا.
٣. لأنهم معاندون مباحثون فيما ثبت استفاضة وتواتراً، لأن معظم الشريعة صادرة عن الاجتهاد، ولا تفي النصوص بعشر معشارها، وهؤلاء ملتحقون بالعوام (٥).
وأجيب بأن من عرف نصوص الشريعة حق معرفتها وتدبر آيات الكتاب العزيز، وتوسع في الإطلاع على السنة المطهرة، علم بأن نصوص الشريعة تفي بجميع ما تدعو الحاجة إليها في جميع الحوادث، وأهل الظاهر فيهم من أكابر الأئمة وحفاظ الشريعة المتقيدين بنصوص الشريعة جمع جم، ولا عيب لهم إلا ترك العمل بالآراء الفاسدة التي لم يدل عليها كتاب، ولا سنة ولا قياس مقبول. -وتلك شكاة ظاهر عنك عارها (٦)- نعم قد جمدوا في مسائل

(١) سورة النحل آية (٨٩).

(٢) سورة الحشر: آية (٧).

(٣) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (٤٢٧/٢) الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - لبنان - الطبعة: ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.

(٤) البحر المحيط في أصول الفقه للزركشي (٥١٨/٣).

(٥) سير أعلام النبلاء للذهبي (٩٨/٢٥)، والبحر المحيط في أصول الفقه للزركشي (٥١٨/٣).

(٦) هو عجز بيت صدره: وغيرها الواشون أني أحبها وهو لأبي ذؤيب الهذلي - التذكرة الحمدونية (١٨٦/٦).

كان ينبغي لهم ترك الجُمُود عليها، ولكنها بالنسبة إلى ما وقع في مذهب غيرهم، من العمل بما لا دليل عليه البتة قليلة جدًا^(١).

أدلة القول الثاني:

١. "لان مفرداتهم حجة، بل لتحكى في الجملة، وبعضها سائغ وبعضها قوي، وبعضها ساقط، ثم ما تفردوا به هو شيء من قبيل مخالفة الإجماع الظني، وتندر مخالفتهم لإجماع قطعي"^(٢).
٢. استدلو بعدم إنكار العلماء على داود فقال الذهبي: "وندرى بالضرورة أن داود كان يقرئ مذهبه، وينظر عليه، ويفتي به في مثل بغداد، وكثرة الأئمة بها وبغيرها، فلم نرهم قاموا عليه، ولا أنكروا فتاويه ولا تدريسه، ولا سعوا في منعه من بثه، وبالخضرة مثل إسماعيل القاضي^(٣)، شيخ المالكية، وعثمان بن بشار الأنطاقي^(٤)، شيخ الشافعية، والمروذي^(٥) شيخ الحنبلية، وابني الإمام أحمد، وأبي العباس أحمد بن محمد البرقي^(٦)، شيخ الحنفية، وأحمد بن أبي عمران القاضي^(٧)، ومثل عالم بغداد إبراهيم الحربي^(٨)، بل سكتوا له، حتى لقد قال قاسم بن

(١) إرشاد الفحول للشوكاني - (١ / ٢١٥).

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي (١٣ / ١٠٤).

(٣) إسماعيل القاضي الإمام شيخ الإسلام أبو إسحاق إسماعيل بن إسحاق بن إسماعيل بن محدث البصرة حماد بن زيد الأزدي مولاهم البصري ثم البغدادي المالكي الحافظ صاحب التصانيف وشيخ مالكية العراق وعالمهم ولد سنة تسع وسبعين ومائة، مات إسماعيل فجأة في ذي الحجة سنة اثنتين ومائتين رحمه الله. [تذكرة الحفاظ للذهبي (٢ / ٦٢٥)].

(٤) هو أبو القاسم عثمان بن سعد بن بشار وقيل عبد الله بن أحمد بن بشار البغدادي الأنطاقي منسوب إلى الأنطاقي وهي البسط التي تفرش كان فقيها ورعا أخذ العلم عن المزني والربيع قال أبو إسحاق كان الأنطاقي هو السبب في بساط الأخذ بمذهب الشافعي في تلك البلاد مات ببغداد سنة ثمان وثمانين ومائتين. [طبقات الفقهاء لإبراهيم بن علي يوسف الشيرازي (١ / ١٩٢)].

(٥) المروذي أبو بكر أحمد بن محمد بن الحجاج الإمام، القدوة، الفقيه، المحدث شيخ الإسلام، أبو بكر أحمد بن محمد بن الحجاج المروذي، نزيل بغداد، وصاحب الإمام أحمد، وكان والده خوارزميا، وأمه مروذية. ولد: في حدود المائتين. وحدث عن: أحمد بن حنبل، ولازمه، وكان أجل أصحابه. توفي أبو بكر: في جمادى الأولى، سنة خمس وسبعين ومائتين. سير أعلام النبلاء للذهبي (١٣ / ١٧٤).

(٦) البرقي أبو العباس أحمد بن محمد بن عيسى القاضي، العلامة، الحافظ، الثقة، أبو العباس أحمد بن محمد بن عيسى بن الأزهر البرقي، البغدادي، الحنفي العابد. ولد: سنة نيف وتسعين ومائة. مات في ذي الحجة سنة ثمانين ومائتين. سير أعلام النبلاء للذهبي (١٣ / ٤٠٨).

(٧) ابن أبي عمران أحمد بن موسى البغدادي الإمام، العلامة، شيخ الحنفية، أبو جعفر، أحمد بن أبي عمران - موسى بن عيسى البغدادي - الفقيه المحدث، الحافظ. ولد: في حدود المائتين، وسكن مصر. وتوفي: في المحرم، سنة ثمانين ومائتين. سير أعلام النبلاء للذهبي (١٣ / ٣٣٦).

(٨) إبراهيم الحربي أبو إسحاق بن إسحاق البغدادي هو: الشيخ، الإمام، الحافظ، العلامة، شيخ الإسلام، أبو إسحاق

أصبح^(١): ذاكرت الطبري - يعني ابن جرير - وابن سريج^(٢)، فقلت لهما: كتاب ابن قتيبة^(٣) في الفقه أين هو عندكما؟ قالوا: ليس بشيء، ولا كتاب أبي عبيد^(٤)، فإذا أردت الفقه فكتب الشافعي، وداود، ونظرائهما.

ثم كان بعده ابنه أبو بكر^(٥)، وابن المغلس^(٦)، وعدة من تلامذة داود، وعلى أكتافهم مثل: ابن سريج، شيخ الشافعية، وأبي بكر الخلال^(٧)، شيخ الحنبلية، وأبي الحسن الكرخي^(٨) شيخ

إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم بن بشر البغدادي، الحربي، صاحب التصانيف. مولده: في سنة ثمان وتسعين ومئة. وطلب العلم وهو حدث. مات الحربي ببغداد، فدفن في داره يوم الاثنين، لسبع بقين من ذي الحجة، سنة خمس وثمانين ومائتين، في أيام المعتضد. سير أعلام النبلاء للذهبي (٣٥٧/١٣).

(١) قاسم بن أصبغ بن محمد بن يوسف بن ناصح وقيل: ناصح بدل ناصح، فيحرر هذا، الإمام، الحافظ، العلامة، محدث الأندلس، أبو محمد القرطبي، مولى بني أمية. مات بقرطبة في جمادى الأولى سنة أربعين وثلاث مائة، وكان من أبناء التسعين. [سير أعلام النبلاء للذهبي (٤٧٤/١٥)].

(٢) ابن سريج أبو العباس أحمد بن عمر البغدادي الإمام، شيخ الإسلام، فقيه العراقيين، أبو العباس، أحمد بن عمر بن سريج البغدادي، القاضي الشافعي، صاحب المصنفات. ولد: سنة بضع وأربعين ومائتين، وسمع في الحداثة، ولحق أصحاب سفيان بن عيينة، ووكيع. ومات على رأس الثلاث مائة. [سير أعلام النبلاء للذهبي (٢٠٢/١٤)].

(٣) ابن قتيبة أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري العلامة، الكبير، ذو الفنون، أبو محمد، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري. وقيل: المروزي، الكاتب، صاحب التصانيف. نزل ببغداد، وصنف وجمع، وبعد صيته. ومات - ساعه الله - وذلك في شهر رجب، سنة ست وسبعين ومائتين. سير أعلام النبلاء للذهبي (٢٩٩/١٣).

(٤) أبو عبيد القاسم بن سلام بن عبد الله الإمام، الحافظ، المجتهد، ذو الفنون، أبو عبيد القاسم بن سلام بن عبد الله. كان أبوه سلام مملوكا روميا لرحل هروي. مولد أبي عبيد: سنة سبع وخمسين ومائة. قدم ببغداد، ففسر بها غريب الحديث، وصنف كتباً، وحدث، وحج، فتوفي بمكة، سنة أربع وعشرين. سير أعلام النبلاء (٤٩٢/١٠).

(٥) محمد بن داود بن علي الظاهري العلامة، البارع، ذو الفنون، أبو بكر: فكان أحد من يضرب المثل بذكائه، وهو مصنف كتاب (الزهرة) في الآداب والشعر. وله كتاب في الفرائض، وغير ذلك. مات قبل الكهولة، وعاش ثلاثاً وأربعين سنة، ومات في عاشر رمضان، سنة سبع وتسعين ومائتين. سير أعلام النبلاء للذهبي (١١٠/١٣).

(٦) ابن المغلس عبد الله بن أحمد بن محمد البغدادي الإمام، العلامة، فقيه العراق، أبو الحسن عبد الله ابن المحدث أحمد بن محمد المغلس البغدادي، الداوودي، الظاهري، صاحب التصانيف. وله من التصانيف: كتاب (أحكام القرآن)، وكتاب (الموضح) في الفقه، وكتاب (المبهيج)، وكتاب (الدامغ) في الرد على من خالفه وغير ذلك. مات: في سنة أربع وعشرين وثلاث مائة عن نيف وستين سنة. سير أعلام النبلاء للذهبي (٧٨/١٥).

(٧) الخلال أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون الإمام، العلامة، الحافظ الفقيه، شيخ الحنابلة وعالمهم، أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد البغدادي الخلال. ولد: في سنة أربع وثلاثين ومائتين، أو في التي تليها، فيحوز أن يكون رأى الإمام أحمد، ولكنه أخذ الفقه عن خلق كثير من أصحابه، وتلمذ لأبي بكر المروذي. توفي في شهر ربيع الأول سنة إحدى عشرة وثلاث مائة، وله سبع وسبعون سنة، ويقال: بل نيف على الثمانين. سير أعلام النبلاء للذهبي (٢٩٨/١٤).

(٨) الكرخي عبيد الله بن الحسين بن دلال الشيخ، الإمام، الزاهد، مفتي العراق، شيخ الخنفية، أبو الحسن عبيد الله بن

الحنفية، وكان أبو جعفر الطحاوي بمصر.

بل كانوا يتجالسون ويتناظرون، ويرز كل منهم بحججه، ولا يسعون بالداودية إلى السلطان.

بل أبلغ من ذلك، ينصبون معهم الخلاف، في تصانيفهم قديما وحديثا، وبكل حال، فلهم أشياء أحسنوا فيها، ولهم مسائل مستهجنة، يشغب عليهم بها، وإلى ذلك يشير الإمام أبو عمرو بن الصلاح، حيث يقول: الذي اختاره الأستاذ أبو منصور، وذكر أنه الصحيح من المذهب، أنه يعتبر خلاف داود^(١).

٣. "لا ريب أن كل مسألة انفرد بها، وقطع بطلان قوله فيها، فإنما هدر، وإنما نحكيها للتعجب، وكل مسألة له عضدها نص، وسبقه إليها صاحب أو تابع، فهي من مسائل الخلاف، فلا تمدر".^(٢)

ثم قال الذهبي: "وفي الجملة، فداود بن علي بصير بالفقه، عالم بالقرآن، حافظ للأثر، رأس في معرفة الخلاف، من أوعية العلم، له ذكاء خارق، وفيه دين متين.

وكذلك في فقهاء الظاهرية جماعة لهم علم باهر، وذكاء قوي، فالكمال عزيز، والله الموفق".^(٣)

أقول ما أجمل كلام الذهبي في حق داود رحمه الله فقد أنصف رحمه الله كعادته. أما بالنسبة للقول الثالث والرابع فهم بنو قولهم على أدلة القول الأول لكنهم سلكوا مسلكا وسطا بين من لم يعتبر خلاف الظاهرية مطلقا وأخرجهم من دائرة العلماء المجتهدين وسأواهم بالشيعة والعوام ومنهم من أفرط بلا وجه حق، وبين من اعتبر خلافهم مطلقا.

الحسين بن دلال البغدادي، الكرخي، الفقيه. توفي - رحمه الله - في سنة أربعين وثلاث مائة. وكان رأسا في الاعتزال

- الله يسامحه - سير أعلام النبلاء للذهبي (٤٢٧/١٥).

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي (١٠٧/١٣).

(٢) المرجع السابق (١٠٨/١٣).

(٣) المرجع السابق.

والحق أن الظاهرية متمسكون بالدليل ويعتبر خلافهم في الأصول فيعتبر في الفروع أما مسألة إنكارهم القياس فلا تنفي عنهم الاجتهاد وحظهم من النظر في الأدلة واضح، وإن كان هناك بعض المسائل التي أغربوا بها فإنها تحكى كما تحكى المسائل عن غيرهم من الصحابة والعلماء الذين تفردوا بمسائل غريبة ولا يجوز العلماء تقليدهم فيها قال الذهبي (رحمه الله): " نحكي قول ابن عباس في المتعة ، وفي الصرف ، وفي إنكار العول ، وقول طائفة من الصحابة في ترك الغسل من الإيلاج ، وأشباه ذلك، ولا يجوز لأحد تقليدهم في ذلك".^(١)

فالمراجع بعد عرض الأدلة ومناقشتها والإجابة عن أدلة القول الأول اعتبار خلاف الظاهرية مطلقا لما يأتي:

١. أن الظاهرية متمسكون بالدليل من الكتاب والسنة والنظر في مسائلهم قلما يجد خلوها من الدليل والنظر والاستنباط؛ لأن هناك طرق غير القياس لاستنباط الأحكام قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيِينًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾^(٢)
٢. "ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة: أنه نزل على رسوله هذا الكتاب العظيم تبينا لكل شيء، وبين ذلك في غير هذا الموضع؛ كقوله: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾^(٣)، على القول بأن المراد بالكتاب فيها القرآن. أما على القول بأنه اللوح المحفوظ - فلا بيان بالآية. وعلى كل حال فلا شك أن القرآن فيه بيان كل شيء. والسنة كلها تدخل في آية واحدة منه؛ وهي قوله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَنْ نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾^(٤)." ^(٥)

(١) المرجع السابق (١٠٠/٢٥).

(٢) سورة النحل: آية (٨٩).

(٣) سورة الأنعام: آية (٣٨).

(٤) سورة الحشر: آية (٧).

(٥) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (٤٢٧/٢)

٣. أن إنكارهم القياس و إغرابهم في بعض المسائل لا ينفي عنهم الاجتهاد. والله أعلم.

المبحث الرابع: تعريف بمعنى الدماء وأقسام الجناية. وفيه أربعة مطالب

المطلب الأول: تعريف الدماء: لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: تسمية الفقهاء لكتاب الدماء في كتبهم، و المقصود بالدماء في الباب.

المطلب الثالث: تعريف الجناية.

المطلب الرابع: أقسام الجناية.